الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي - ميلة -

المعهد:الآداب واللغات
الميدان:اللغة و الأدب العربي

عنوان المذكرة:

القضية الفلسطينية عند أدباء المهجر

إيليا أبو ماضي نموذجا

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس نظام جديد
تخصص الأدب العربي

إعداد الطالبات:
1- بن عزيزة فاطمة
2- يدوري حليمة
3- بوحمار رقية

إشراف الأستاذ:
عبد الحفيظ بورايو

السنة الجامعية: 2012/2011.

دعاء

يا ربي علمني أن أحب الناس كلهم كما أحب نفسي وعلمني أن أحاسب نفسي كما أحاسب الناس.

علمني أن التسامح هو أكبر مراتب القوة وأن الانتقام هو أول مظاهر الضعف.

يا ربي لا تجعلني أثاب بالغرور إذا نجحت ولا باليأس إذا أخفقت وذكرني دائما أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح.

يا ربي إذا أعطيتني نجاحا فلا تأخذ تواضعي وإذا أعطيتني تواضعي فلا تأخذ اعتزازي بكرامتي.

وإذا أسأت يا ربي إلى الناس فامنحني شجاعة الاعتذار وإذا أساء إلي الناس فامنحني شجاعة العفو

آمين يا رب العالمين

شكر وتقدير

إنه ليسعدنا وشرفنا أن نعبر بكلمة شكر متواضعة لأهل الفضل الذين قدموا لنا يد العون.

نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذ المشرف عبد الحفيظ بورايو على سعة صدره وما منحه من إرشادات وتعليمات وتوجيهات قيمة لإخراج هذا الجهد إلى النور الوجود.

كما نتقدم بتحية شكر وتقدير وعرفان إلى الأستاذ " زعباط كمال " الذي انتقى لنا عنوان هذه المذكرة.

إلى كل من قدم لنا يد المساعدة في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد.

ونسأل الله التوفيق والسداد.

مقدمة:

لكل بداية نهاية ولكل غريب عودة إلى وطنه، وها نحن نقترب شيئا فشيئا من نقطة النهاية التي طالما انتظرناها، وخلنا أننا سنسعد بها، ولكن تبين لنا العكس، إذ عز علينا ترك مقاعد الدراسة، وتلك الأجواء المفعمة بالحيوية والشغف بالعلم.

لكن ما يخفف من حدة هذه الشعور هو أننا سنحمل معنا زهرة كلما نظرنا إليها هبت علينا نسائم الجامعة وأطلت أيامها.

كثيرا ما فكرنا في موضوع المذكرة، ولم نهتد إليه إلى أن درسنا الأدب الحديث وتعرفنا على الشعر المهجري الذي كان علامة مميزة في دنا الأدب العربي، حينها قررنا أن يكون موضوع البحث في مذكرة التخرج هو أحد أعلامه، وقد ترددنا كثيرا في إختيار الشاعر فكلهم نجوم أضاءت سماء الشعر المهجري، فإخترنا أكثرهم إشعاعا بتفاؤله وصدقه وحبه للإنسانية وامتزاجه مع الطبيعة، وكان ذلك في آخر لحظة حين سئلنا من طرف الأستاذ عن موضوع البحث، فأجبنا دون سابق تفكير " ايليا أبو ماضي"، وأخيرا أخترنا القضية الفلسطينية في شعره فكان العنوان:

القضية الفلسطينية عند أدباء المهجر

(إيليا أبو ماضي نموذجا)

ونحمد الله حمدا كثيرا لأننا لم نواجه صعوبات كثيرة في الحصول على المراجع، وقد تضمن بحثنا ثلاثة فصول مهدنا لها بتبيان الأسباب التي دفعت بشعرائنا إلى الهجرة.

وتناولنا في الفصل الأول: التعريف بمدرسة المهجربجناحيها :(الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية)، بالإضافة إلى التجديد الذي دعت إليه الرابطة القلمية والتي ينتمي إليها شاعرنا.

و الفصل الثاني خصصناه للحديث عن فلسطين في أدب المهجرين قدمنا له بإعطاء لمحة تاريخية عن فلسطين مع دراسة لأهم القضايا في أدبهم.

وأما الفصل الثالث فخصصناه للحديث عن إيليا أبي ماضي من حيث : مولده، نشأته هجرته) كما أبرزنا خصائص شعره وما ميزه عن غيره من الشعراء من حنين وحبه للطبيعة ونزعته الإنسانية، والرمزية إضافة إلا النزعة التأملية دون أن ننسى النزعة الفلسفية، وهذا ما جعله يلقب بشاعر المهجر الأكبر.

وأخيرا قمنا بدراسة فنية لقصيدة فلسطين كنموذج لقضية فلسطين في الشعر المهجري

والأمل يحدونا في أن نكون قد أضأنا زاوية من زوايا الأدب المهجري وعلى الله قصد السبيل.

مقدمة :

حينما نتحدث عن الأدب المهجري، بجدر بنا أولا أن نشير إلى الظروف والأسباب، التي دفعت بالشباب العربي إلى ترك وطنه، والنزوح إلى بلاد غير بلاده، ويمكن تقسيم هذه الأسباب إلى أسباب سياسية وأخرى اقتصادية اجتماعية إضافة إلى أسباب أخرى:

أ- أسباب سياسية:

تتمثل في قساوة الحياة في الوطن العربي، وما عانته شعوبه من قمع واضطهاد سياسي وحروب، وكبت للذات العربية، حيث كانت سوريا ولبنان خلال القرن التاسع عشر خاضعة للحكم العثماني الجائر، الذي اضطهد الحريات، وساق الناس إلى السجون والمعتقلات لأتفه الأسباب، فضاق الناس بالحال ذرعا، وأخذوا يهاجرون إلى مصر وإلى شمال إفريقيا، هذه البلاد التي كانت يد الحكم العثماني قد وصلت إليها أيضا، فلم يكن من مفر أمامهم سوى الاتجاه صوب العالم الجديد، طلبا للحرية، وهروبا من الظلم والطغيان السياسي، يقول " نسيب عريضة" في قصيدته: " حكاية مهاجر سوري" :

غريبا من بلاد الشرق جئت **** بعيدا عن حمى الأحباب عشت**

اتخذت أمريكا وطنا عزيزا **** فكانت لي كأحسن ما اتخذت**

أتاها للفن غيري، وإني **** كما جاءوا من الإقدام، جئت**

ولكني طلبت بها حياة **** مع الحرية المثلى، فنلت** [1]

---

[1] عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ط1، 1954، ص 13.

ويقول "أنيس المقدسي" في كتابه" الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث"، عن هذا العامل (السياسي):« كان الأكبر على المهاجرة، اختلال الأحوال الاقتصادية في السلطة العثمانية بفساد الحكومة الاستبدادية حتى تضعضع الأمن وسادت الفوضى وثقلت المعيشة »[1]

ب- أسباب اقتصادية اجتماعية:

حيث ساد آنذاك، وفي ظل تلك الأوضاع السياسية الفقر والشقاء، وأهملت الزراعة والصناعة، حيث كان الجوع والحرمان مصير الأغلبية العظمى من المواطنين، مما دعاهم إلى الهجرة طلبا للحياة الكريمة ومعيشة أفضل، أين يوجد الغنى، والثراء و المال، وكان العالم الأمريكي مقصدهم أين أغراهم حال من سبقهم من المهجرين.

ج- متفرقات:

إن الإنسان السوري واللبناني مولع منذ القديم بالهجرة، وحب السعي في الأرض والاغتراب، وحياة العمل والتجارة، ولا يجد المرء منهم صعوبة في أن يهاجر إلى أي مكان يستطيع أن يجد فيه اليسر والرخاء والاطمئنان والأمن على النفس والمال. إضافة إلى سهولة الهجرة، فلم يجد هؤلاء المهاجرين قيودا تحول دون غايتهم، ولم يكن هناك في قوانين تلك البلاد ما يقيد حرية المهاجرين في اختبار العمل الذي يناسبه، ورسم طريقة بالوسائل التي يختارها، وعلى غرار هذا كانت فرص الحياة والثراء كثيرة ومواتية حيث الأراضي الفسيحة وشتى مرافق الصناعة والتجارة في أمس الحاجة إلى الأيدي العاملة الكثيرة. وزيادة على هذا نجد أن هناك من المهاجرين من هاجر إلى أمريكا الشمالية أو الجنوبية رغبة منه في حياة جديدة مخالفة لحياته التي يحياها في الشرق، ورغبته في التطلع على المظاهر الحضارية فيها، أو سعيا منه وراء كسب مضاعف لما كسبه في وطنه، حيث يقول " شكر الله الجر" :

---

[1] نفس المرجع السابق، ص 14.

إيه لبــنان يشهد الله لنا **** ماهجرناك على قلى وصبابه**

إنما أصبح المقام بأرض الأرز **** للــحر ذلة ومـعابه**

كيف لا يهـجر الأبي مكانا **** ملأ اليأس حــره ورحابه**

فالمهاجر لم يكن ليهاجر حبا منه في الاغتراب وإنما هروبا من حياة الذل والمهانة، كما عبر عنها الشاعر.

I- التعريف بمدرسة المهجر:

مدرسة شعراء المهجر إحدى المدارس الشعرية في حركة الشعر الحديث، وهي مدرسة لها سماتها، وخصائصها المميزة، ولها مذهبها في فهم الشعر، ويرجع قيام هذه المدرسة الشعرية المهجرية إلى هجرة أفواج كبيرة، من أبناء البلاد العربية، وخاصة من سوريا ولبنان في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين ومن بين صفوف هذا الشباب حشد من الأدباء، ضاقت إحساساتهم المرهفة، ذرعا بذلك الواقع المليء بالتسلط، والقهر، واتخذوا من المهجر مستقرا لهم، على أن المستقرين الكبيرين اللذان استقرا فيهما الأدباء المهجريون هما الأمريكيتان: الشمالية والجنوبية، ومن ثمة فنحن نطلق الذين استقروا في أمريكا الشمالية اسم المهجر الشمالي، وتمثل أدبها في مدرسة أدبية هي: الرابطة القلمية، وعلى الذين استقروا في أمريكا الجنوبية اسم المهجر الجنوبي، وتمثلها مدرسة العصبة الأندلسية.

هذا وإن النشاط الثقافي للمهاجرين لم يأخذ شكلا تنظيميا إلا بظهور الصحافة العربية، والمجلات المختلفة التي تضمنت مواضيع مختلفة خاصة منها الوطنية، والتي أسالت حبر العديد من الكتاب والشعراء، ومن أهم المجلات: مجلة« الفنون » التي أنشأتها نسيب عريضة سنة 1912م، ومجلة « السمير » التي أنشأها إيليا أبو ماضي سنة 1929م، خلق من خلالها

جوا ثقافيا عربيا، جمع بين المهاجرين العرب، حافظ على صلتها بالثقافة العربية والقضايا الوطنية، ونقل من خلالها النتاج العربي إلى الوطن الأم وهذه المجلات عملت على نشر أفكار ومبادئ هذه المدرسة فاستقطبت العديد من القراء وذاع صيتها، ولهذا اشتهرت، فكان بدؤها في أوائل العقد الثاني من القرن العشرين، ولكن صوتها آنذاك كان خافتا، لكن مع العقد الثالث تعالت صيحتها في أنحاء العالم الجديد، والوكن العربي الكبير، وخاصة بعد قيام الرابطة القلمية في نيويورك في أفريل 1921م، وصدور "الغربال" لميخائيل نعيمة أحد أعمدة الرابطة القلمية عام 1923م.

فما هو دور الرابطة القلمية في إرسال دعائم الأدب المهجري عامة والشعر خاصة ؟

1- الرابطة القلمية:

تمثل الرابطة القلمية في المهجر الشمالي الثورة على كل ما هو تقليدي، فقد امتلأت صدور أكثر أعضائها بالآداب الأجنبية والعالمية الحديثة المتنوعة، فأدركوا أن الأدب الحق إنما هو ابتداع، وأن التقليد يهيض الأجنحة، ويعقم الفكر، وهي الجماعة الوحيدة التي تضم أبرز أدباء المهجر، وأخصبهم نتاجا.

أ- نشأتها:

تنسب هذه الجماعة الأدبية إلى "القلم" الذي هو أدناه الفكر، ووسيلته إلى أذهان الناس في كل مكان وزمان، « وقد أنشئت هذه الرابطة في نيويورك في 20 أفريل 1920، وكان الذي حمل عبء الدعوة إلى تأسيسها هو الأديب المهجري الكبير عبد المسيح حداد (1890 1963)

صاحب جريدة « السائح » المشهورة، ومؤلف كتاب « حكايات المهجر» وشهدت دار السائح الاجتماعات التي عقدت من أجل تأسيس الرابطة.... »[1]

وفعلا تأسست هذه الرابطة الأدبية عام 1920م، و كان عدد أعضائها عشرة: جبران خليل جبران عميدها، ميجائيل نعيمة مستشارها، ووليم كاتسفليس خازنها، ثم نسيب عريضة وإليا أبو ماضي، وعبد المسيح حداد، ورشيد أيوب، وندرة حداد، وإلياس عطا الله، وانصرف رشيد أيوب، وندرة حداد إلى الشعر وحده، أما جبران ونعيمة ونسيب عريضة وإليا أبو ماضي فقد كتبوا جميعا في الشعر والنثر.

وإنشاء الرابطة يعتبر تعبيرا عن نضج شخصية المهاجرين في بيئاتهم الجديدة وأن فئة منهم أصبح لها رأي خاص تعبر عنه في الحياة والأدب.

أصبحت هذه الفئة تثق بقدراتها على التعبير عن رأيها وتخطيط الحقل الأدبي الذي هو صورة الحياة تخطيطا جديدا يحقق– في رأيهم– الشروط اللازمة لتوجيه النتاج الأدبي توجيها يضمن له الاحتفاظ بالقيم الفنية التي يبشرون بها.

وفي هذا يقول (قانون الرابطة): « إن هذه الروح الجديدة التي ترمي إلى الخروج بآدابنا من دور الجمود والتقليد، إلى دور الابتكار في جميل الأساليب والمعاني، حرية في نظرنا بكل تنشيط ومؤازرة، فهي أمل اليوم وركن الغد.... »

وكتب مخائيل نعيمة مقدمة لدستور الرابطة جاء فيها بيان رسالة الأدب والأديب، قال: « ليس كل ما سطر بمداد على قرطاس أدبا، وكل من حرر مقالا، أو نظم قصيدة موزونة بالأديب فالأدب نعتبره هو الأدب، ذاك الذي يستمد غذاءه من تربية الحياة ونورمها وهوائها، والأديب

---

[1] عبد المنعم خفاجي: قصة الأدب المهجري، دار الطباعة المحمدية بالزهر- القاهرة، ط1، 1954، ص 82.

الذي نكرمه هو الذي خص برقة الحس، ودقة الفكر، وبعد النظر في تموجات الحياة وتقلباتها، وبمقدرة البيان، عما تحدثه الحياة في نفسه من التأثير »[1]

وجاء في دستور الرابطة: « أن غاية الرابطة هو بث روح نشيطة في الأدب العربي وانتشاله من هذه الخمول والتقاليد »[2]

ومن خلال الكلام الذي ورد في مقدمة الرابطة ودستورها نفهم الدافع الأساسي والهدف الحقيقي لإنشائها، وهو الرفع من مستوى الأدب، والسمو به، وإحلاله المكان الذي يليق به كأدب عالمي إنساني خالد.

ب- دعوة الرابطة القلمية:

تمثلت دعوة الرابطة القلمية في التجديد الذي شمل الموضوعات والصياغة، فقد صار شعراء الرابطة على التقليد، ودعوا إلى الخروج من المواضيع والمضامين البالية المحصورة في الأغراض الشعرية القديمة: كالفخر، والمدح، والرثاء، والهجاء،.... رغبة منهم للتوجه لمظاهر الحياة، واستنباط موضوعات من صميم الواقع للتعبير عن النفس وتأملاتها، ولم يتردد شعراء الرابطة على الغوص في مظاهر الحياة فحسب، وغنما تعدوا ذلك إلى وصف مظاهر الطبيعة، وتحدثوا عن الليل والبحر، والنهر، ووصفوا الربيع والخريف، وتكلموا عن الصيف والشتاء، وكلها مظاهر تذكرهم بتلك التي تركوها في وطنهم، ومن هنا جاء أدبهم تأميا، إبتداعيا فرديا، فهم لا يعنون بالخارج، إنما يعنون بأنفسهم، والمجتمع عندهم ليس له قيمة إلا بمقدار إحساس الفرد به، فالفرد أولا ثم الجماعة، وقد شغفوا بالطبيعة، وهم ذاتيون أخلصوا لمشاعرهم واستمعوا لوساوس أنفسهم، وصاغوا ذلك شعرا عذبا، وقد حملوا كثيرا على حياة المدينة، وتمردوا على الآلة، ودعوا إلى حياة الغاب والطبيعة، حياة الفطرة والبساطة، فهم أصحاب منزع جديد في

---

[1] عبد المنعم خفاجي: قصة الأدب المهجري، ص 77.
[2] نفس المرجع ص 77.

شعرنا، إذ عدنا إلى دواوين جبران وأصحابه من الرابطة القلمية لوجدنا مصداق ما نقول من هذا التجديد، ذلك النزوع إلى الانطلاق الشعوري والتعلق بالطبيعة، وتصوير الإحساسات النفسية والمشاعر الذاتية، ويقول جبران في ذلك في مقال عنوانه « لكم لغتكم ولي لغتي » : « لكم منها الرثاء، والمديح، والفخر، والتهنئة، ولي منها ما يتكبر عن رثاء من مات وهو في الرحم، ويأبى مديح من يستجوب الاستهزاء، ويأنف من تهنئة من يستدعي الشفقة، ويترفع عن هجو من يستطيع الإعراض عنه، ويستنكف من الفخر إذ ليس في الإنسان ما يفاخر به سوى إقراره بضعفه وجهله »[1]

كما اهتموا بالمعنى أكثر من اهتمامهم باللفظ، فالمعنى قبل اللفظ، ومما لا شك فيه أن من يطلبون قوة العبارة ونقاء اللغة وجمالها لا يجدون ذلك عندهم، لكنهم يجدون اتجاها جديدا في الفكر والشعور، كما نجد لغة بسيطة ليس فيها زخرف، ولا أي شيء يحول بيننا وبين المعنى، فالمعنى يكاد يكون عاريا، فالتعبير الفني لا يراد لذاته وإنما يراد لما يحمل من أفكار ومعاني، و المعنى هو كل شيء في الشعر، هو روحه وجوهره، أما اللفظ والزخرف فغرضان قديمان بالبيان.

أما التجديد في الصياغة عند شعراء الرابطة القلمية فقد كانت محاولات تجديدية كثيرة في الأوزان الشعرية والبحور الخليلية، إذ فكوا شعرهم من قيود كثيرة في الوزن والصيغة، فقد أرادوا التخلص من كل العوائق القديمة من سجع وغير سجع في النثر ومن بديع وغير بديع في الشعر، ويقول جبران في هذا : « ... لكم من لغتكم البديع والبيان، والمنطق، ولي من لغتي نظرة في عين المغلوب، ودمعة في جفن المشتاق، وابتسامة على ثغر المؤمن... لكم لغتكم ولي لغتي، لكم أن تلتقطوا ما يتناثر خرقا من أثواب لغتكم، ولي أن أمزق بيدي كل عتيق بال، وأطرح على جانبي الطريق كل ما يعوق مسيري نحو قمة الجبل...لكم لغتكم ولي لغتي، لكم

---

[1] شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر- دار المعارف- مصر، ط11، 1976، ص 246.

لغتكم عجوزا مقعدة، ولي لغتي صبية غارقة في بحر من أحلام شبابها...أقول لكم إن النظم والنثر عاطفة وفكر، وما زاد على ذلك خيوط واهية وأسلاك متقطعة...لكم لغتكم ولي لغتي» [1] ومعنى ذلك أن كل انتقاء شواء للفظ أو الموضوع قضي عليه قضاءا مبرما وأصبح الشاعر حرا في لفظه و موضوعه، فهو يفيض بالخواطر، وبآمال الشاعر وآلامه وأحلامه في الحرية التي فقدها في بلاده، والفضائل الإنسانية التي ينبغي أن تعم العالم، بحيث شعر كل إنسان إزاء أخيه، بما له من حقوق وما عليه من واجبات، فلا غرب ولا شرق، ولا استعمار، وإنما إخاء وسلام، ومساواة بين البشر، فلا حر ولا عبد، ولا غني ولا فقير، ولا قوي، ولا ضعيف، ولا مسيحي ولا مسلم، و هذا كله عالم جديد من الفكر ومتعة الحس والشعور.

2-العصبة الأندلسية: التمسك بالقواعد الشعرية التقليدية وغلبة الجانب المحافظ

إن ما يقابل الرابطة القلمية في المهجر الشمالي هو العصبة الأندلسية بالبرازيل في الجنوب، وهي فئة من الشباب ومن ذوي المذاهب الأدبية اتخذت من نشاط أقلامها سلاحا في جهاد الحياة وصراع العيش، ولم يجنح بها التجديد إلى التطرف الذي اتسمت به الرابطة القلمية وقد تكونت سنة 1933م على يد " ميشال معلوف" الذي عمل مع عدد من الأدباء على رفع الأدب من حضيض الابتذال، حتى يصبح ذا قيمة في الحياة والذوق الفني، وقد اجتمع عنصرا المال والإخلاص لدى الشاعر" ميشال المعلوف" وهو سر نجاحها، يقول فيه عيسى الناعوري:

« لقد كان ميشال أديبا صادق الموهبة الأدبية، وقد نظر حوله، فرأى الأدب بين إخوانه المهجرين وسيلة للتجارة الوضيعة في الغالب للمشاحنة، وكان على بسطة في المال، ورحابة في النفس، فتألم لما رآه من حال الأدب، وقرر مع بعض الرفاق أن يعملوا هملا حاسما في توجيهه والسمو به، وسرعان ما تم له ما أراد» [1]

---

[1] شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر، ص 246.
[1] عيسي الناعوري، أدب المهجر ، دار المعارف مصر، د.ت، ص 27.

ومنذ تأسيس هذه العصبة والشاعر " ميشال معلوف" ينفق عليها من ماله حتى عالم 1938م حين عاد إلى لبنان ليلقي عليها نظرة أخيرة، ويودعها بعد شوق وداعا ولا رجعة بعده، فقد انتقل إلى مثواه الأخير إبان الحرب العالمية الثانية في مسقط رأسه " زحلة".

كما كانت مجلة "السائح" هي لسان حال الرابطة القلمية، فإن العصبة الأندلسية أصبح لها بالبرازيل مجلة أدبية راقية تسمى "العصبة الأندلسية" التي انظم إليها كبار الأدباء المهاجرين بعد أن داع صيتها، ومنهم: " شفيق المعلوف"، " الشاعر القروي"، "إلياس فرحات"، "نجيب يعقوب"، وتبعهم بعد سنوات أدباء وشعراء وآخرون، وهكذا أصبحت العصبة رابطة عظيمة الأهمية، تيلور بواسطتها الأدب العربي في البرازيل، وقد تولى رئاسة تحرير مجلة العصبة بعد إنشائها الأديب "حبيب مسعود" نظرا لما انفرد به من أهلية وكفاءة، وسار يعمل بنشاط وغيرة، إلى أن صدر قرار رئيس جمهورية البرازيل الذي يتضمن منع إصدار أي صحيفة او منشور أو كتاب في غير لغة البلاد الرسمية، فتوقفت العصبة كغيرها من الصحف، ثم عادت من جديد سنة 1947م عن طريق "شفيق المعلوف"، حيث تولى رئاستها بعد الرئيس الأول القروي، وبذل في سبيلها وسبيل مجلتها من ماله ونشاطه.

وتوالت الأيام وبدا نشاط العصبة يخفت، فقد فقدت عددا من أعضائها، فمنهم من اختطفتهم المنية أمثال: " ميشال معلوف"، " جورج الخوري"، "عقل الجر" ومنهم من عاد إلى المشرق "كرياض المعلوف" و" رشيد الخوري" وقد خلفوا موروثا أدبيا ضخما نذكر منه : "ملحمة شعرية"، "عبقر" و"نداء المجازيف" و"عيناك" لشفيق المعلوف و" لكل زهرة ربيع" له أيضا و"ديوان القروي"و"ديوان فرحات" في ثلاثة أجزاء، و"رباعيات فرحات"، "أحلام الراعي" لإلباس فرحات، و"الروافد" و" زنابق الفجر" لشكر الله الجبر، و"القرويات" و"والأعاصير" و"ديوان القروي" للقروي.

مبادؤها:

لعل غلبة الجانب المحافظ على أدب العصبة يرجع إلى بعدهم عن تيارات الثقافة الغربيةولعله يرجع أيضا إلى ان معظم أبناء هذه المدرسة لم ينالوا حظا زفيرا من التعليم، فكانت ثقافتهم الشعرية ثمرة جهدهم الخاص، وكان الشعر العربي القديم يمثل لهم النموذج الذي يجب احتذاؤه بإعتبار المحصلة النهائية للشعر العربي، في حين أن أباء الرابطة استوعبوا الثقافات التي واكبت حياتهم الفنية، واستطاعوا أن يستشفوا في وجدانهم صورة للنماذج بين الروح الشرقية والروح الغربية، فتكون مزاجا جديدا انعكس أثره في نتاجهم الشعري.

وعند تتبع حركة الشعر عند العصبة نلمس التأثر بالشعر العربي القديم، كما نجد الحرص على الديباجة العربية في أشعارهم، ونذكر هنا أباتا للشاعر "نعمة الحاج" إذ يقول:

تذكرت أهل النوى ولاديا ***** وقد طال شوقي للحمى وبعاديا**

تذكرت هاتيك البروع وأهلها *** وحبذا تلك الربوع الزواهيا**

ويقول فوزي المعلوف ناظرا إلى بيت أبي العلاء المعري:

تعب كلها الحياة فما أعجب **** إلا من راغب في إزدياد**

فيقول المعلوف:

ألم كلها الحياة فلا تضحك *** ثغرا إلا لتبكي عيونا**

وقد أعبوا على شعراء الرابطة وزعيمها جبران محاولات التجديد فيقول إلياس فرحات:

أصحابنا المتمردون خيالهم *** تقصى قريش به وتحيا حمير**

لغة مشوهة ومعنى حائر **** خلف المجازر ومنطق متعثر**

وزعيمهم في زعمه متفنن *** عجبا، أ كان الفن فيما يضمر**

لا الأرض تفهم ما يصوره لها ** ذلك الزعيم ولا السماء تفسر**

ويرد جبران مبينا الفرق بين منهج المدرستين قائلا:

جاورتهم الأمس وملنا إلى *** يوم موشى صحبه بالخفاء**

ورمتم الذكرى وأطيافها *** ونحن نسعى خلف طيف الرجاء**

وجبتم الأرض وأطرافها *** ونحن نطوي بالفضاء الفضاء**

وعندما نقول أن شعراء الرابطة كانوا مجددين، فهذا لا يعني أنهم لم يت أثروا بالتراث العربي القديم، بل إننا نجد هذا التأثر في بعض أشعارهم، إلا أن هذا التأثر لم يصل إلى ما وصل إليه عند شعراء العصبة، فمثلا نجد " رشيد أيوب" في قصيدته له يحذو فيها حذو المتني في قوله:

ضيف ألم رأسي غير محتشم **** والسيف أحسن فعلا منه باللمم**

فيقول في قصيدته " حرب الأمم":

كنا ظننا بأن السيف دولته *** أن القضايا في يد القلم**

فخاننا الأمر لما جاءنا نبأ *** ان القضايا بغير السيف لم ترم**

وفي قصيدته يأخذ نصف بيت للمتنبي فيقول:

قامت قيمتها من غير ما سبب *** حتى كأن بهم ضربا من اللم**

ويقول المتنبي في حديثه عن خيول الأعداء:

والطعن يخرقها والزجر يقلقها *** حتى كان بها ضربا من اللمم**

كما نجد إيليا أبو ماضي وشعراء من الرابطة في أول عهدهم بالشعر يتبعون النمط الشعري القديم في الشكل والمضمون في قوله:

لمن الديار تنوح فيها الشمائل *** مات أهولها ولم يترحل**

ويقول فيها أيضا:

أصبحت أنندب أسدها وظباءها *** ولطالما أصرتني أتغزل**

وهو القائل في نقدمة ديوانه " الجداول":

لست مني إن حسبت الشـ **** ـعر ألفاظا ووزنـا**

خالف دربك دربـــي **** وانقضى ماكان منـا**

فانطلق عني لئـــلا *** تقتلني هنا وحزنـا**

II- التجديد في الشعر المهجري:

لقد أسهم المهجريون في حركة التجديد في الشعر العربي، وقاموا بثورة عامة على اللغة وأساليبها القديمة، وقد ركزوا في هذه الثورة التجديدية على تحديد مفهوم الشعر، فأضاعوا معنى جديدا له، فيعد أن كان محصورا في مجموعة من الأغراض الشعرية القديمة التي تخلو من ذات الشاعر، فأصبح الشعر عندهم تعبير عن الذات، كما ركزوا على الشاعر ووظيفته فالشاعر مبدع مبتكر، فالإبداع وظيفته، وليس التقليد، كما ثاروا على الصنعة اللفظية، ودعوا إلى التحرر من الأوزان والقوافي، ومن هنا نلمس التجديد في أربع مستويات والتي تتضح لنا معالمها من خلال أقوال أعلامها خاصة جبران ومخائيل نعيمة.

1) المستوى الأول (ماهية الشعر):

وهي من القضايا التي تطرق إليها جبران، وأسهب في الحديث فيها، إذ يقول في هذا المجال:« الشعر روح مقدسة متجسمة من ابتسامة تجي القلب، أو تنهدة تسرق العين مدامعها أشباح مسكنها النفس، وغذاؤها القلي، ومشربها العواطف»[1].

ويقول مخائيل نعيمة: « الشعر هو غلبة النور على الظلمة، والحق على الباطل، هو ترنيمة البلبل، و نوح الورق، وخرير الجداول، وقصف الرعد... الشعر هو لذة التمتع بالحياة الرعشة أمام وجه الموت، هو الحب و البغض والنعيم و الشقاء، هو صرخة اليأس، وقهقهة السكران... الشعر سيل جارف وحنين دائم...هو الذات الروحية، تمتد حتى تلامس أطرافها الذات العالمية... الشعر هو الحياة ضاحكة، وناطقة، وصامتة، ومولولة »[2]

من خلال عرضنا لهذفين القولين، يتضح لنا أن الشعر شامل لكل شئ، ولا يجب أن يكون مقيدا بمعنى أو جانبا واحدا من الحياة، ويجب أن يلم بكل المشاعر، والعواطف الإنسانية الموجودة في الوجود، هذه العواطف موجودة في نفس الإنسان، والتي يجب أن يعبر عنها من خلال شعره، حسب الحالة التي يعيشها.

فالشعر عندهم هو الحياة بمعنى عام يتمثلها في الصمت، والنطق، والضحك، واليأس والتمتع والخوف، والرعشة.

وعلى هذا الأساس، فإن هذين المفهومين يقدمان ثورة على ماهية الشعر التقليدي الذي يجب التخلص منه على حد قول أمين الريحاني : « إن اللغة جسم لا ينمو إلا بالغذاء الجديد ، اقطع الغصن اليابس ، ولقح الغصن الطري تسلم الشجرة ، فتنمو و تزدهو..... » [1] .

2) المستوى الثاني (الشاعر ووظيفته) :

---

[1] جبران خليل جبران: المجموعة الكاملة م3، دار الصادر- بيروت- ك2، 1981م، ص 151.
[2] ميخائيل نعيمة: الغربال، دار صادر بيروت، ط7، 1964، ص 66.
[1] و ديع أديب : الشعر العربي في المهجر الامريكي ، بيروت ، 1954 م ، ص 28 .

فالشاعر في نظرهم يرتقى إلى مصاف الأنبياء و الكهنة و المصورين و الموسيقيين إذ يقول نعيمة: « الشاعر نبي و فيلسوف و مصور و موسيقي و كاهن » [2] .

أي أن الشاعر الحق هو الذي يملك قدرات عدة على مستوى التفكير و التعبير و البصيرة الثاقبة ، أي يملك قوة التأمل و قوة التعبير ، مما تجعله يرى في الوجود حوله ما لا يراه الإنسان العادي ، فيغوص إلى الأعماق ، وينفذ إلى كنه الكائنات ، و يحس بروعة الحياة و يملك القدرة على الإفصاح و التعبير على ذلك الإحساس ، ويصنع ما لا يقدر أن يصنعه بشر غيره ، لذلك وجدنا أبا ماضي لا يتردد في رثائه لمطران في وصفه بالنبوة قائلا :

إنه روح لبس الطين المهينا

و نيى بهر الخلق و ما أعلن دينا

يلمح النجم خفيا ، و يرى العطر دفينا

ويرينا الطهر حتى في الجناة إلا ثمينا

ويحس الفرح الأسمى جريحا أو طعينا [3]

أما جبران فيعتبر الشاعر هو: « كل مخترع كبيرا كان أم صغيرا وكل مكتشف قويا كان أو ضعيفا، و كل محب للحياة المجردة إماما كان أو صعلوكا...ذلك الزراع الذي يفلح حقله بمحراث يختلف ولو قليلا عن المحراث الذي ورثه عن أبيه، ذلك البستاني الذي يستنبت بين الزهرة الصفراء والزهرة الحمراء زهرة ثالثة برتقالية اللون... ذلك الحائك الذي ينسج على نوله نسيجا ذا رسوم وخطوط تختلف عن الأقمشة التي يصنعها جيرانه الحائكون... » [1] .

---

[2] ميخائيل نعيمة : الغزال ص 24 .
[3] إليليا أبو ماضي: ديوان تبر وتراب، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1961م، ص170.
[1] حبران خليل جبران: المجموعة الكاملة ص 560،561.

فالشاعر عنده مبتكر ومكتشف يحب الحياة المجردة ويختلف في شعره عن شعر الذين سبقوه من قبل، أي لا يكون مقلدا في شعره غيره، وأن يعبر عن عواطفه بشكل يختلف عنهم وبحرية تامة، وهي دعوة إلى التجديد في الشعر ودعوة إلى تحرر الشاعر من حيث البنية التعبيرية، وهذه الدعوة إلى التجديد جاءت بانتقادهم للمقلدين« فالمقلد عندهم صاحب نفس متحجرة لا تنبض بإحساس مرهف صادق وعاطفة عميقة يعتز لها الوجدان والمشاعر والسبب في ذلك يعود إلى أن يسير على دروب مطروقة محددة المعالم إن خرج عنها تاه وظل» ويقول جبران في هذا:« إن خير الوسائل بل الوسيلة الوحيدة لإحياء اللغة هي في قلب الشاعر، وعلى شفتيه، وبين أصابعه الشاعر هو الوسيط بين قوة الابتكار والبشر، فإذا كان الشاعر أبا اللغة وأمها فالمقلد ناسج كفنها وحفار قبرها»

ومن القضايا التي دعوا إليها هو الصدق الفني وهو حجز الزاوية في عملية الخلق و الإبداع والعطاء والشعر بصورة خاصة لا يدخل إلى أعماق نفوسنا إذا لم تكن الكلمة فيه صادقة فياضة العاطفة مستندة إلى تجربة يهتز لها ضمير الإنسان وتنفعل نفسته لأن الشعر هو التعبير بالكلمة عن تجربة يعيشها الشاعر ويستمر ميخائيل في حديثه عن الشاعر فيقول : « إن روح الشاعر تسمع دقات أنباض الحياة وقلبه يرد صداها ولسانه يتكلم بفضلة قلبه تتأثر نفسه من مشهد يراه او نغمة يسمعها، فتتولد في نفسه أفكار في الحلم واليقظة، فتملك كل جارحة من جوارحه... وهنا يرى نفسه مدفوعا إلى القلم ليفسح مجالا لكل ما يجيش في صدره من الانفعالات، وفي رأسه من التصورات» [1]

فإذا كان إيليا أبو ماضي من أعضاء الرابطة فلا عجب أن يتأثر بآراء جبران ونعيمة، وما دعيا إليه من مبادئ في دنيا الأدب والنقد والتي كان لها صدى في شعره، إذ يعرف لنا الشاعر فيقول:

---

[1] ميخائيل نعيمة: الغربال، ص 74.

قالت لعمرك زدت نفسي ضلـة * ماكان ضرك لو وصفت الشاعر؟**

فأجبتها هو من تسائل نفسـه * عن نفسـه في صبحـه ومسائـه**

والعين بين مجيئـه وذهابـه * ويحاور بين أمامـه ورائـه**

ويسير في الروض الأغن فلا ترى * عيناه غير الشوك في أرجائـه**

إن نام لم ترفض هواجس روحـه * وإذا استفاق رأيتـه كالتائـه**

هو من يعيش لغيره ويظنـه * من ليس يفهمه يعيش لذاتـه** [2]

3- المستوى الثالث: (التحرر من قيود التراث الشعري)

كانت دعوتهم صريحة للتحرر من التراث الشعري، وهذا ما لمسناه في عدواتهم إلى الابتكار في ميدان الشعر خاصة والأدب عامة، وتتضح لنا معالم هذه الدعوة و الثورة على المقلدين في قول ميخائيل نعيمة : « الأدب الذي نعتبره هو الأدم ، الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ، ونورها ، وهوائها ، والأديب الذي نكرمه هو الأديب الذي خص برقة الحس ، ودقة الفكر ، وبعد النظر

---

[2] الديوان: ص 434، 435.

في الحياة و تقلباتها ، إن الروح التي تحاول بكل قواها حصر الأدب ، واللغة العربية ضمن دائرة تقليد القدماء في المعنى و المبنى هي في عرفنا سوس ينخر جسم أدبنا و لغتنا ، و إن لم تقاوم ، تتئدي بها إلى حيث لا نهوض و لا تجدد » [1] .

من خلال هذا القول يتضح لنا أن التقليد هو موت بطيء للأدب ، لذلك اعتبرت الرابطة من أبرز المتحررين من قيود التراث الشعري ، فأتت نماذج شعرا كانت أم نثرا توحى بدقة الفكر و غلبة الروح ، وقوة التأمل ، وربما كان أبو ماضي أكثر شعراء المهجر انصرافا إلى التأمل ، إذ يقول قصيدته " الطلاسم " :

جئت لا اعلم من أين ، ولكني جئت

و لقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت

و سأبقى ماشيا إن شئت هذا أم أبيت

كيف جئت ، كيف أبصرت طريقي لست أدري

كما دعوا كذلك إلى التخلص من الأغراض القديمة كالهجاء و المدح و الرثاء..... . تساهلوا في استعمال اللغة ، و حتى استخدام بعض الألفاظ العامية التي لا مقابل لها في اللغة الفصحى ، ومن هذا قول جيران خليل جيران في هذا البيت :

هل تحممت بعطر وتنشفت بنور .

فهم يدعون إلى إستخدام ألفاظ بسيطة مألوفة لأن المهم عندهم هو الفكرة، كما ثاروا على لغة القواميس، ويعبر عن ذلك الشاعر المهجري " أسعد رستم" في قوله:

---

[1] ميخائيل نعيمة ، جيران خليل جيران ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، ط 9 ، 19881 ، ص 177 .

عقنقل مع دمشق وخنفقيق * لها في النظم لست أرى لزوما**

وما ذني إذا أكنت يوما * فقلت تلوح في الأفق النجوما**

4- المستوى الرابع: (التحرر من الأوزان والقوافي)

لم يرض شعراء المهجر عن جميع الأوزان الشعرية القديمة المطروقة، وخاصة تلك الأوزان ذات البحور الطويلة، التي أكثر منها شعراء العرب قبلهم كالبسيط والمديد والطويل، و بالتالي نلاحظ ميلا إلى استعمال البحور القصيرة، أو مجزوءة المفاعيل في معظم الأحيان، ولعل جميع شعراء الرابطة القلمية مشتركون في إعجابهم بالتوشيح من أوزان الشعر، والموشحات قديمة لم يوجدها شعراء المهجر، ولا شعراء الرابطة، وقد وجدت منذ وجد الأدب العربي في بلاد الأندلس، وقد مالوا إلى نظمها والإكثار منها لأنهم وجدوا فيها طرافة موسيقية وأنغاما عذبة، و سهولة، وطواعية في التعبير، وقربا من الكلام العادي، فمن ذلك قطعة لجبران بعنوان: "بالله يا قلبي "يقول فيها:

بالله يا قلبي اكتم هواك

واخف الذي تشكوه عمن يراك ، تغنم

من باح بالأسرار

يشابه الأحمق

فالصمت و الكتمان

أحرى بمن يعشق

بالله يا قلبي إذا أتاك

أحرى بمن يعشق

بالله يا قلبي إذا أتاك

مستعلم يسأل عما دهاك فاكتم

و يسير في مقطوعته على هذه الطريقة السهلة السائغة الخالية من دواعي التكلف و المشقة ولم يكتف شعراء الرابطة القلمية بتقليد المرشحات الأندلسية ، و إنما جددوه في أوزان هذه المرشحات و في بحورها المختلفة ، كما نلاحظ هذا في موشحة " نسيب عريضة " التي عنوانها " النعامي " ، حيث نجده لا يسير فيها على طريقة المرشحات الأندلسية تماما ، بل يغير و يبدل ، ويزيد في التفاعيل ، و ينقص منها ، وهو يقسم القصيدة إلى مقطوعات تتميز كل مقطوعة منها بغنم خاص ، و تسير في بحر معين ، يقول :

هيا بنا يا ندامى !!!

فقط أتتنا النعامى

تجر ذيل الربيع

قد زال قيد الثلوج

هيا أبصروا في المروج

جسم الجمال البديع

و هو هنا يستعمل أحد البحور العربية القليلة الاستعمال في الشعر العربي و هو " المجتث " و بضعه في قالب من التوشيح الأندلسي البديع ، ثم يقول :

النعامى ترنحت ... النعا ... مى !!

و الرخامى ترخمت ..... الرخامى

فهلموا إلى الربى..... يا ندامى !!

لا تقولوا على الصبا ..... يا سلاما !!

و عندما نقول أن شعراء الرابطة جددوا في الموشحات ، و أوزان البحور ، فليس معنى هذا أنهم قد استغنوا عن بحور الشعر العربي القديم المعروفة ، فهم ينظمون على تلك البحور التي نظم على أوزارها أبو نواس و المعري و المتنبي، بل على العكس نلاحظ عند بعضهم تأثيرا بهؤلاء الشعراء مثل أبي ماضي في إنتاجه الأول .

و لم يكتف هؤلاء الشعراء المجددون بالتنويع في أوزان الأبيات و بحورها فحسب ، بل نراهم يشنون حملة على القافية التي كبلت و قيدت قصائد و أشعار الشعراء العرب على مر العصور ، فيقول ميخائيل نعيمة : « إن القافية العربية السائدة إلى اليوم ليست سوى قيد من حديد ، يربط قرائح شعرائها ، و قد حان تحطيمه » [1] ، لذلك اعتبروا أن القافية تقيد الشاعر ، فلا تفسح أمامه المجال للتعبير عما يريد ، فقد يضطر إلى البحث عن كلمة من نفس القافية ، فيكون ذلك على حساب المعنى ، وهو ما يتطابق مع مفهوم إليوت للشعر إذ يعتبر انسياب لمشاعر وانفعالات متدفقة ، فعلى الشاعر أن يتخلص من كل قيد قد يعيق هذا التدفق كالوزن مثلا، يقول في مقالة المعروف: " التقاليد والملكة الفردية" يحلل في عملية الإبداع الفني: «ليس على الشاعر أن يبحث عن انفعالات جديدة، وإنما عليه أن يستعمل الانفعالات الموجودة

---

[1] ميخائيل نعيمة، الغربال، ص 70.

بالفعل، ليخرج منها إحساسات ليس في الإنفعال العادي بالمرة...»[2] وعلى هذا الأساس فقد نوع شعراء المهجر في القافية ولم يلتزموا بمبدأ وحدة القافية وخير مثال على ذلك هو قصيدة " الطريق" لميخائيل نعيمة، يقول فيها:

نحن يا بنتي عسكر قد *** تاه في قفر سحيق**

نرغب العود ولا ندكر *** من أين الطريق**

فانتشرنا في جهات القفز *** نستجلي الأثر**

نسأل الشمس عن الدرب *** ونستفتي الحجر**

وسنبقى نفحص الآثار *** من هذا وذاك**

ريثما ندرك أن الدرب *** فينا لا هناك**

ولم يكن نعيمة هو الوحيد في استخدام هذه الطريقة الشعرية، بل سار على هذه الطريقة العديد من الشعراء، إذ نجد أحيانا أن شعراء الرابطة القلمية يقسمون قصائدهم إلى مجموعات من الأبيات بعضها مكون من ثلاثة أبيات وبعضا من بيتين، وكل مجموعة تأتي على قافية واحدة مخالفة لسبقتها و لإيليا أبي ماضي قصيدة بعنوان " أمة تفنى وأنتم تلعبون" يقول:

أعلى عينيى مع الدمع غشـاء *** أم على الشمس حجاب من غمام**

غاص نور الطرف أم غارت ذكاء *** لست أدري غير أني فـي ظلام**

ما لنفسي لا تبالـي الطربـا *** أين ذاك الزهر، أيــن الكلف**

عجبا ماذا دهاها عجبــا *** فهي لا تشكـو و لا تستحلف**

---

[2] محاضرات في نظرية الأدب: د. شكري عزيز الماضي، دار البعث للطباعة والنشر، ط1، 1984، ص 192.

ليتها ما عرفت ذاك النبــأ *** فالسعيد العيش مـن لا يعرف**

ومن أوضح مظاهر التجديد في أوزان الشعر وبحوره أنهم كثيرا ما يجمعون بين شطري البيت الأول في وحدة متماسكة، تزيد من جمال أدائه واتفاق كلماته، وعلى هذا النحو جرى ميخائيل نعيمة في الكثير من قصائده [1]، يقول الأستاذ " وديع ديب "في حديثه عن شعره: «إن من يتدبر شعر نعيمة يجده زاخرا بالنغم الموسيقى المناسب في مجراه انسيابا لا يعرف معه التوقف في سبيل التمييز بين صدر وعجز، فهو تيار من الألحان يجري في سبيله إلى قلب البحار الشاسعة»[2]. ومن أبرز الأمثلة على هذا الانسجام والتآلف الموسيقي، قصيدة نعيمة بعنوان " النهر المتجمد"، و غني عن الذكر أن شعر المهجر بوجه عام وشعر شعراء الرابطة بوجه خاص يمتاز بموسيقى داخلية تنساب من خلال أبياته و توحي بها أوزانه وقوافيه وتتجاوب معها النفوس، وتتأثر بها القلوب في يسر وسهولة، ودون أية كلفة.

---

[1] نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، دار المعارف بمصر، ص 261.
[2] وديع ديب: الشعر العربي في المهجر الأمريكي، ص 90.

لم يكن التزام شعراء المهجر و أدبائه مجرد تأييد نظرى للفلسطينيين، فإنّما كان سعياً حثيثاً لتحقيق آمالهم و محاولة تغيير إذا كان مفهوم الالتزام مشاركة الشاعر و الأديب مشاركات واعية فى القضايا الإنسانية الكبرى السياسية و الاجتماعية و الفكرية

فإنّ كثير من شعراء المهجر و أدباءه يقعون فى مقدمة الشعراء الملتزمين بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة.

لم يشهد القرن العشرون مأساة كوت قلوب الإنسانية، أكبر من مأساة الفلسطينيين الذين أخرجوا من مسقط رأسهم و احتلّ العدوّ الغاصب أراضيهم، فانعكست أصداء هذه المأساة فى أدب كثير من المهجريين الذين لم يكن فلسطين موطنهم،.لذلک اتخذت قضية فلسطين طابعاً إنسانيا فى إنتاجاتهم الفكرية. هؤلاء الشعراء و الأدباء كانوا يشعرون بالمسؤولية أمام المجتمع الذى ينتمون إليه و أمام الإنسانية جمعاء، و كانوا يحاولون أن يتخذوا موقفاً صريحاً إزاء ما يحدث حول فلسطين على الصعيد الدولى و الإقليمى.

الواقع الراهن.فلذلک خرجت محاولاتهم من الإطار الفكرى و أخذت صورة فعلية تظهر فى طيات انتاجاتهم الغزيرة. و من هنا كان الالتزام عندهم«مرتبطاً بالعقيدة منبثقاً من شدة الإيمان بها صادراً فى جميع أشكاله و أحواله عن إيديولوجية معينة يدين بها الفكر الملتزم .

أ) لمحة تاريخية :

تشكل فلسطين بأحداثها جزءا مهما في مخزون الأدب العربي بشكل عام وفي الشعر على وجه الخصوص ، والشعر المهجري الذي يعرف بأنه النتاج الشعري الذي صدره الشعراء العرب المهاجرون إلى بلاد الشتات لا ينفصل عن الشعر العربي على الرغم من أنه تميز بميزات فرضتها الظروف على هؤلاء الشعراء.

ومن المعروف أن هؤلاء الشعراء تمركزوا في أمريكا الجنوبية والشمالية منذ عشرات السنين، ومع منتصف القرن الماضي اتضح أنهم كانوا يشكلون كتلة أدبية قوية وواسعة الانتشار خاصة في أمريكا لجنوبية .

ولما كانت هجرتهم منذ بداية القرن العشرين فإن ذلك يعني أن بلاد الشام كانت لهم كتلة جغرافية واحدة بالأصل وأن فلسطين كجزء من هذا النسيج السياسي الجغرافي .فما يهم لبنان أو سوريا يهم فلسطين والعكس صحيح.

وإذا رأينا ما أنتجه هؤلاء الشعراء حول قضية فلسطين نراهم وقد واكبوها حدثا وسنة وراء سنة مما حصل بالنتيجة تراكم كمي ونوعي من ذلك الشعر الذي خصصوه لفلسطين وقضاياها.

ونضيف إلى ذلك مسيرة شعراء المهجر لم تكن تقتصر على النتاج الشعري فحسب فقد كان هؤلاء الشعراء عناصر عمل على الأرض لنصرة القضية الفلسطينية . وقد تنقلوا بين المدن والقرى ليجمعوا التبرعات وإرسالها إلى شعب فلسطين عن طرق عدة . وهذا بالطبع ما يمنح أشعارهم صدقا عالميا تجاه هذه القضية .

ولعل الأفكار التي طرحها الشعر العربي بشكل عام والتي تخص القضية الفلسطينية هي ذاتها الأفكار التي طرحها شعراء المهجر بل وما يزاد لهم هو ذلك الأفق الحر من التعبير وتلك

الحرية في التعبير الصريح والذي نلمس فيه الاحتجاج الفاضح والإشارة بالإصبع لكل من تآمر على فلسطين وباعها للصهاينة .

وقد شملت نتائجهم الشعرية والفكرية التالية

1- التنديد بوعد بلفور والانكليز بشكل عام

2- التأكيد على عروبة فلسطين

3- مكانة القدس في قلوب المسيحيين والمسلمين

4- التأكيد على المقاومة المسلحة ونصرة الثائرين في وجه الاستعمار البريطاني والصهيوني

5- التأكيد على وحدة الأمة العربية والدعوة لها من أجل نصرة فلسطين

6- التنديد بالنظام العربي الرسمي الذي فرط بفلسطين وتخاذل عن نصرة أهلها

7- الدعوة للجهاد المسلح وصنع وسائله كي يقتلع الاحتلال الصهيوني من أرض فلسطين .

8- التحذير الشديد من الهدنة التي وقعت بين النظم العربية والعصابات الصهيونية .

9- الإصرار على العودة مهما طال أمد الاحتلال لفلسطين.

لقد شكل وعد بلفور ضربة قاسمة للأمة العربية ولشعب فلسطين. وقد كان مدهشا حقا أن وعد بلفور يمنح اليهود وطنا لهم وهذا الوطن ملك لشعب فلسطين وكان مدهشا أن يملك شيئا من الأرض بوعد طرف ليس من حقه أن يملك , لقد كان وعد بلفور مهزولة بكل المقاييس وهذا ما نظم فيه الشاعر القروي أكثر من قصيدة . يندد فيها بالوعد و بالإنكليز و بالمؤامرة التي حيكت خيوطها في لندن والأوساط الاستعمارية الغربية يقول في احدى قصائده المشهورة:

الحق منك ومن وعودك أكبـر *** فاحسب حساب الحق يا متجمر**

تعد الوعود وتقتضي انجازهـا *** مهج العباد خسئت يا مستعمر**

لو كنت من أهل المكارم لم تكن *** من جيب غيرك محسنا يا بلفر**

عد من تشاء بما تشاء فإنمـا *** دعواة خاسرة ووعدك أخسر**

ومن خلال تحليل الألفاظ التي استخدمها الشاعر نرى النبرة الحادة جدا والألفاظ التي تنم عن سخرية مقذعة تخص الانكليز واليهود. ونعتقد أن هذا أمر طبيعي لأن الانعكاسات النفسية لما جرى لفلسطين كانت أكبر من أن تطاق أو تحتمل.

يقول القروي :

يا مصور الكذب الذي بعده *** كذب تعالى الحق عما تنشر**

تجني على وطن المسيح مدمرا *** وتذيع أنك في البلاد معمر**

وقد بلغ الشعراء المهجرين أن صبوا جام حقدهم على الإنكليز بسبب ما اقترفوه من جرائم يحق لشعبها فمن معاني السخرية إلى معان الفضائح ومن معاني اللصوصية إلى معاني الخيانة والمؤامرة يقول القروي في قصيدته الثانية:

من لعرض الحقائق *** من أخاديع فاسق**

سارق يدري بـه *** نصف مليون سارق**

وعد بلفور حجـة *** يوم عقد المواثق**

رب وعد بأمــة *** ووعود بدانـق**

ولعل السخرية السوداء عمت العديد من القصائد الشعرية التي أنتجها شعراء المهجر، والكثير من المقولات التي بثها المستعمر البريطاني عن السلام في فلسطين والمنطقة لم تكن إلا محط سخرية للجميع، فكيف يقولون عن السلام في فلسطين بينما يرتكبون الجرائم والمجازر ويحولون

أرض فلسطين الى يهود أوربا فأي سلام يدعونه وهم الذين يشردون مئات الألوف من أبناء فلسطين وتحت عنوان خرافة السلام يقول زكي قنصل:

يا خائفين على السلام ألا اضجلوا *** دعوى السلام خرافة وفضول**

بيت الصلاة جعلتموه مغارة *** قد طاب منها للصوص مقيل**

إنا شهدنا من الرواية سلمكم *** فصلا فقزر نفسنا التمثيل**

القدس مسرحه وأولاد الخنا *** أبطاله وعظاته التنكيل**

بلفور في المأساة أوى دافع *** ويليه في تنفيذها تشرشل**

وفي الإطار نفسه والطريقة التعبيرية ذاتها يتوجه الشاعر إلياس فرحات بخطابه الى شذاذ الآفاق من اليهود الذين شكلوا عصابات للإغارة على قرى فلسطين ومدنها وسكانها. ولا ينس الشاعر أن يوجد لهم التحدي بأن الحرب سجال ،ولا بد للشعب العربي من أن يقاوم ويرد كيدهم إلى نحورهم يقول:

قل للمغير على منازلنا *** كالسبيل ننفذ من هنا وهنا**

حمت فسك فوق طاقتها *** وركبت ويحك مركبا خشنا**

إن لم يكن زمن يوافقنا *** للثأر منك ستخلق الزمنا**

فاجعل ضريحك جاهزا أبدا *** وأد نفسك واحمل الكفنا**

وقد تصل درجة الانفعال مداها الأقصى لدى بعض الشعراء فينجرفون وراء ألفاظ قاسية جدا وليس ذلك إلا تعبيرا عن مدى سخط الذي وصلوا اليه ومن الطبيعي جدا أن لا تحتمل الشعر الرموز و الكنايات أو الصور الخيالية لأن حالة الانفعال الشديد يجعل الشاعر يركز على الطابية الواضحة لما فيها من عمق مأساوي تارة ومن نضالي تارة أخرى.

يقول الياس فرحات في قصيدة بعنوان والتل تل أبيب:

يا من طغوا وتمادوا عاقدين على *** وعد سخيف بناء شامخ القبب**

ستعلمون متى حاق البلاء بكم *** كم في الوعود وفي الآمال من كذب**

ستغسل القدس من أوساخ أمتكم *** يا امة الوسخ المطلى بالذهب**

والتل تل أبيب سوف نتركها *** كلا من الروم وفي بحر من اللهب**

بنيتموها بمال أكسجت عاصمة *** وليس يعصمكم منها سوى الهرب**

ويلجأ بعض الشعراء إلى البعد التاريخي فيتناولون تاريخ اليهود الذين قتلوا الأنبياء وخانوا العهود . ولا شك أن شعوب المنطقة وخاصة العرب يعرفون ذلك التاريخ الأسود لليهود ،فليس غريبا أن يكونوا عنصريين ويقترفون الجرائم العنصرية وليس غريبا أن يفعلوا جميع الموبقات والرذائل طالما أن مسيرة تاريخهم بأكملها تشير إلى أنهم شاذون في أنفسهم وسلوكهم الفردي والجمعي.

يقول الياس قنصل:

أخا هارون فاض الكيل فاعلم *** بأنا أمة لا غش فينا**

وشعبك لم يزل في كل أرض *** يحل وأنت تعرفه خؤونا**

بوادي التيه كم كابدت منهم *** أمورا تغضب الحر الرهينا**

وحتى ربهم لم يحتملهم *** وشتتهم فهم لا يهتدونا**

وقد باعوا المسيح وعذبوه *** كما تدري عذاب المجرفينا**

ولا شك أن مثل هذه الإسقاطات والاستخدامات التريخية تربط الماضي بالحاضر فاليهود الذين احتلوا فلسطين ليسوا بمعزل عن التاريخ العنصري الذي سطروه بسلوكهم وأفعالهم . وقد أدرك الشعراء هذه المسالة ومن أجل تثبيتها في الأذهان عادوا صياغة التاريخ وأعادوا الماضي ليجسد في الحاضر فلا أحد يستطيع إنكار ما عانى الأنبياء من هؤلاء اليهود ولا احد يستطيع أن ينكر ما لاقى المسيح من مواقفهم المعادية ضد عقيدته وتسامحه.

إن شعراء المهجر الذين تربوا في أساس تربية عربية قومية أدركوا أن الأمة العربية التي فيها المسلم والمسيحي ترفض هؤلاء الغزاة من اليهود زمن الصليبيين الغربيين لذلك نجد قضية فلسطين العربية حاضرة حضورا كبيرا جدا في أشعارهم ومواقفهم الوطنية والقومية.

ب) فلسطين في أدب المهجريين:

إن القضية الفلسطينية تعدّ أكبر تحدّ واجهته الأمة العربية الإسلامية في العصر الحديث، وقد حظيت باهتمام الأديب العربي منذ وعد بلفور الذي اعترف بحق اليهود المزعوم في إنشاء وطن لهم في أرض فلسطين وقد جرّ هذا الوعد مآسٍ ومصائب كثيرة على الشعب الفلسطيني والأمة العربية. وشعراء المهجر تابعوا القضايا التي مرت بوطنهم منذ ساعة رحيلهم عنه خاصةً قضيّة فلسطين. «ومع مأساة فلسطين انسكبت شكوى الإنسان العربي بحمىً مخيفة، لقد كان جرحه ينزف باستمرار مأساوي مرعب سيولاً من الكلمات المتمردة المعذبة وكان ماضيه الذي يمتزج بشبح الأرض العذراء المنسرحة الشاكية يموسق أغنيته للأرض الأم [1]

إن القضية الفلسطينية شغلت العقل العربي وألهمت شعراءه وكتّابه من المشرق إلى المغرب وهذا يدل على الأهمية البالغة التي تمتلكها هذه الأرض المقدسة في قلب الأمة العربية والإسلامية. إن الإبداعات الشعرية والنثرية تعبر عن تألم الأدباء من العدوان الصهيوني ومن اعتدائهم على فلذة عزيزة من الوطن العربي وتؤكد مساندة الشعوب العربية الأخرى لفلسطين لاسترجاع عزتها وسيادتها. وهذه القضية هي خير مثال لصيحة أطلقها أدباء العرب في وجه عدو مشترك.

ولقد احتلت قضية فلسطين مكاناً واسعاً في أدب المهجريين، «إذ لا يكاد يخلو نصٌ يقدمه شاعر من الشعراء المبدعين من فلسطين ومما يعانيه أهلها من ظلم الصهاينة وجورهم حتى إننا نرى بعض القصائد تخرج عن الإطار الفني في صياغتها. وما ذلك إلا نتيجةً للحماسة الفائقة

[1] ديوان إيليا أبو ماضي: قدم له وعلق عليه: إبراهيم شمس الدين، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ط1، 2005م، ص 440.

والحمية الصادقة التي تعتري الشاعر عندما يتعرض لفلسطين وأهلها. وهذا ليس غريباً لأن الغصن وإن امتد خارج دائرة شجرته إلا أنه يظل في حنين دائم إلى جذوره التي تهبه عناصر الحياة » [1] .

إنّ أدباء المهجر كانوا يهتمون بالقضية الفلسطينية اهتماما خالصاً وكانوا يسعون ليميطوا اللثام عن المؤامرات البشعة التي تضمرها الصهاينة للعرب والمسلمين، وقد أدّوا رسالتهم في هذا المضمار خير ما تؤدّى رسالة. ولكن في آذان الملوك صمم وعلى أبصارهم غشاوة. لم يكن جلّ اهتمام أدباء المهجر مصروفاً إلى تصوير أوجاع الفلسطينيين و المشاركة فى آلامهم، بل إنهم استوعبوا قضية الفلسطين فى جميع جوانبها مؤكدين تضامنهم مع الشعب الفلسطينى المظلوم.

ج) ملامح قضية فلسطين في أدب المهجريين :

و فيما يأتى، نشير إلى أهم ملامح قضية فلسطين فى أدب المهجريين:

1- التنبيه في وقت مبكر إلى الخطر الصهيوني:

منذ بداية القرن العشرين نرى أن كثيراً من الشعراء والأدباء قد تنبّهوا إلى الخطر المحدق بالعرب والمسلمين من قبل الصهاينة ولم يكن أدباء المهجر بمعزل عن ذلك حتى نرى أن أدبهم قد طبع بميزة وهي التنبيه إلى هذا الخطر.

من الشعراء والأدباء الذين تنبهوا مبكراً للخطر الصهيوني واستشعروا ما تحوم حول الأرض المقدسة من أهوال، الشاعر المهجري ابو الفضل الوليد. وقد أولى القضية الفلسطينية اهتماماً كثيراً ونرى ديوانه زاخراً بالقصائد التي تعالج اغتصاب فلسطين. ونرى فيها أنه كان يتنبأ نوايا اليهود والصهاينة ومطامعهم العدوانية ومؤامرة العدوان ضد الشعب الفلسطيني الإسلامي في

---

[1] أحمد أبو حاقة: الإلتزام في الشعر العربي، بيروت دار العلم للملايين، ط1، 1979، ص 13.

الأربعينات وجاء في أشعاره، فلا تنامي علي الضيم ولاتقفي حيرى فروح صلاح الدين ترعاك من الفرنج أرى الإسلام فى خطرٍ ولليهود انتهاك بعد أنهاك .

و يظهر من البيتين المذكورين أن أبا الفضل الوليد كان واعياً إزاء الأحداث و كان يرصدها بعيون يقظة، و يستشعر الخطر المحدق من قبل الدول الأوربية ضدّ الشعب الفلسطينى.ومن جانب آخر نرى الشاعر، كأنّه يريد أن ينبّه إلى مسألتين.

الأولى: إن الإسلام لا يقبل الظلم و العدوان.و الشاعر يستدعى لذلك الشخصيات البطولية فى تاريخ الإسلام التى كانت لهم دور ريادى فى الفتوحات الإسلامية حتّى يحرّض الشعب و الدول العربية و الإسلامية لتصدى العدوان الذى يكمن لهم.

الثانية: يشير الشاعر إلى اليهود و ما كان لهم من نقض العهود زمن الرسول الأعظم (ص) و إيذاء الرسول و المسلمين و بذلك يعكس مدى التزامه و تضامنه مع الشعوب العربية و الإسلامية.

والأديب الآخر الذي ساهم في توعية الشعب العربي لنيّات الإنجليز والصهاينة المغرضة هو الكاتب الرحالة أمين الريحاني الذي تجول في كثير من البلدان العربية في الشرق الأوسط واطلع على أحوالها عن كثب. وهو أدرك خطر الصهيونية، قبل أن تولد إسرائيل.يتجلّى اهتمام الريحانى بقضية الفلسطين فى مقالاته التى كان ينشرها فى الصحف و المجلات، فيقول في احدي مقالاته محرّضاً الشعب العربى و الإسلامى: «الصهيونية متحدة فعلينا بالإتحاد.الصهيونية منظمة فعلينا بالتنظيم. الصهيونية مجاهدة فعلينا بالجهاد. الصهيونية شديدة الإيمان فعلينا بإيماننا العربي القومي نوحده ونعززه. الصهيونية غنية وما نحن بفقراء. وللصهيونية دعاية كبيرة في العالم فعلينا أن نقاومها بدعاية مثلها. » [1] .

[1] المرجع السابق: ص14.

يبدو أن الريحانى يدعو فى هذه المقالة إلى الوحدة و التضامن ضدّ الصهاينة.غير أن هذه المقالة ترجع إلى عدّة سنِن قبل تشكيل الدولة الصهيونية.فقد اهتم الريحاني بالخطر الصهيوني منذ مطلع القرن، فكتب وحاضر في أميركا وفي البلاد العربية محذراً من الأطماع الاستيطانية في فلسطين، وندّد بوعد بلفور وبنكوص الدول العربية أمام الخطر المحدق بهم قائلاً: «عما يعترينا نحن العرب من النقص والضعف والفساد مما أدى بنا إلى ما نحن اليوم فيه» [2] .

2- تصوير آلام الشعب الفلسطيني ومآسيه:

إنّ اغتصاب أرض فلسطين وإخراج أهلها منها لمأساة عظيمة متعددة الجوانب، وكل جانب منها يستأهل أن يكون موضوعاً لعشرات القصائد والقصص والمقالات فاستعان أدباء المهجر بقرائحهم الوقادة وصوّروا كثيراً من تلك المآسي في قصائد وقصص رائعة.من هؤلاء الأدباء الشاعر القروي يقول في قصيدة له مخاطباً الصهاينة: [3]

تجني علي وطن المسيح مدمراً

وتذيع أنك في البلاد معمر

يعتبر الصهاينة أنفسهم معمرين مصلحين في الأرض بينما لم يتركوا في فلسطين إلا الخراب والدمار. ولما حلّت النكبة بأرض فلسطين وأخذ أهلها ينزحون عنها شاردين، لاجئين فتحول صوت الشعراء والأدباء صراخاً يدوى فى مشارق الأرض ومغاربها يستفسر الوجدان الإنسانى ويستنهض الضمير العربى الإسلامى و الإنساني. فانسحب الشعر من ساحة العقل والتأمل ليدخل واحة العاطفة والإحساس ليكون أبلغ فى التعبير عن مأساة الشعب الفلسطينى. ونراه في

---

[2] أمين الريحاني: القوميات، دار الريحاني، بيروت، 1956م، ج2، ص 148.

[3] أبو الفضل الوليد: (إلياس عبد الله طعمه الجندي المجهول) راجعه وقدمه له: جورج مصروع، دار الثقافة، بيروت، 1972م، ص 92.

موضع آخر يهجو الشاعر العبراني روبين الذي نشر قصيدةً في جريدة فلسطنية يذم فيها العرب وقد خاطبه قائلاً: [1]

روبين تلك يراعة أم حية بالحبر تكتب أم بسمّ تقطر؟

شكراً على المدح الذي أسديته إن اللئيم على المذمة يشكر

ترمي الأعراب بالنذالة مثلما يرمي الكواكب بالسفالة بحتر

و هنا ينبّهنا الشاعر القروى أن القضية الفلسطينية قد خرجت من إطار السياسة و دخلت فى عوالم الأدب عامة و الشعر خاصة، و هذا يبدو واضحاً من هجاء روبين الشاعر العبرانى، العرب و ذمّهم.و لذلک نرى القروى يغلى غضبه و تجيش عاطفته،و يتّهمه بأنه حيّة يلدغ العرب و يشكره من أجل هجائه و مذمّته، فكأنه يشير إلى قول الشاعر العربى:

و لقد أمرّ على اللئيم يسبّنى

فمضيت ثمّت قلت لا يعنينى

كان ايليا أبي ماضي من شعراء المهجر الذين بذلوا اهتماما بالغاً لمسألة فلسطين ولتصوير ألآم الشعب الفلسطينى معاناته والمصائب التي يتحملها. ومن أفضل قصائده القومية، قصيدة قالها في فلسطين وعنوانها «تأبي فلسطين أن تذعنا»وقدّم فيها صورة رائعة للمعاناة التى عاشها العرب فى فلسطين، نراه يقول: [1]

فخطبُ فلسطين خطبُ العلي

وما كان رزء العلى هيّناً

و كيف يزور الكري أعيناً

تري حولها للرّدي أعيناً؟

وكيف تطيبُ الحياةُ لقومٍ

---

[1] المرجع السابق، ص147.

[1] المرجع السابق: ص150 .

عليهم دروب المنى

بلادهم عرضة للضياع

وأمتهم عرضة للفنا

يريد اليهود بأن يصلبوها

وتأبى فلسطين أن تذعنا

وتأبى المروءة في أهلها

وتأبى السيوف وتأبى القنا

يصف الشاعر في هذه القصيدة حال الشعب الفلسطينى وأن خطبه وبلاءه هو خطب الله سبحانه تعالى وهو ليس بقليلٍ ولا هينٍ وأن الشعب الفلسطينى لم يذق للنوم طعماً، كيف ينام وعيون الموت تحدق به من كل جانب وكيف تهنأ لهم الحياة وأن آمالهم سدّت أمامها الطرقُ. بلادهم أمست عرضة للضياع والهلاك وشعبهم يهدده الفناء والدمار. كيف يطيب العيش لأمة يريد اليهود أن يصلبوها. ولكنها أمةٌ أبيةٌ لاترضخ بسهولة لهذه المقاصد الشيطانية والمروءة التى تحملها بين جنبيها تأبى على أن تبقى سيوفها مغمدةً ورماحها مطروحةً.

كما ذكرنا آنفاً أن أبا الفضل الوليد الشاعر المسلم كان من شعراء المهجر الذين بذلوا أقصى جهودهم ليصوروا ألآم الشعب الفلسطينى فى أشعارهم، يقول أبو الفضل الوليد فى قصيدة له وكأنه يعزف بقيثارته نغمةً حزينةً: [1]

و كم عليها دماء المسلمين جرت وكم تساقط فيها من سراياك

يا قدس ، مكّة قد آستك باكيةً لما أتاه بنفي الدين منعاك

إن الرزيئة كبرى لا عزاء لها حتّى اليهودي أخزانا وأخزاك

---

[1] الشاعر القروي، الأعمال الكاملة للشعر، جمعه وبوبه وضبطه وشرحه وقدم له: مكتب التدقيق اللغوي، طرابلس، منشورات جروس بروس، ط ، ص 227.

على نبيهم غدا في أرضهم أسراً ولم يكن في حماهم غير هتّاك

يا حسرتا ويا ويلاه من زمنٍ أضرى الثعالب فانتاشت بقاياك

من إرثه يحرم الفادي له بدمٍ ولليهود احتكام بعد إملاك

يرثى أبو الفضل الوليد لدماء المسلمين التى إنسابت فوق أرضهم وللبيوت التى تهدمت على رؤوس ساكنيها ويرى أن ما حل بفلسطين رزية كبرى حتى أن مكة أخذت تؤاسيها باكيةً لما سمعت بنعيها. ويعتقد الشاعر أن الجانب المزرى فى هذه المصيبة التى نزلت على العرب أنها جاءت من قوم كانوا محتقرين طوال التاريخ وهو يقول:«حتى اليهودى أخزانا وأخزاك» ويتحسر من زمانٍ أمست فيه الثعالب (اليهود) كالضوارى تهتك وتفتك من دون أن يقف أمامها أسد ليردّ عها عما تفعل.

توفيق بربر شاعر آخر من شعراء المهجر وقد أعطى فلسطين والعرب جزءا من حياته وأدبه. يشبّه توفيق بربر في إحدى قصائده حال الأمة العربية بالكبد التي تقطّعت وانتثرت وهي صامتة لم تنبس بكلمةٍ لما حلّ بفلذتها المقدسة ولكنه يرى أن هذا السكوت ليس إلا هوادةً. والشعب العربي الإسلامي يستيقظ من سباته رادّاً العدوّ من أراضيه. كذلك يأمل الشاعر أن تلتحم هذه القطع وتنزل على العدوّ صواعق تغمره بالنار والموت [1] .

أرى قطعاً من أمتي في عرائه نثرن كأشلاء وقد كنّ أكبدا

رويداً فلسطين فليلكَ ينجلي وما أقرب اليوم الذي كان أبعدا

سكتنا عن الباغي اللئيم هوادةً وقد غرّه منا الندى فتمردا

سننقض في الجلّى عليهم صواعقاً ونغمرهم بالنار والعار والردى

[1] محي الدين البرادعي: المهاجرة والمهاجرين، المجلد الأول، منشورات وزارة الثقافة دمشق، 2006، ص 392.

و الشاعر يصور بصورة رائعة تمزق الأمةالعربية وتشتّت شملها وتفرق كلمتها. ولكن هذا ليعود إلى الأمة العربية بنفسها بل هو من بلادة حكامها، أما الشعوب فقلوبها متضامنة وستنقض عاجلاً أم آجلاً على عدوها وتغمره بالنار والعار.

3- كشف زيف الصهيونية وإدانة عدوانيتها:

يدّعي الصهاينة أن أجدادهم كانوا يسكنون أرض فلسطين، إذن هي ميراثهم ويحق لهم المطالبة بها. فتصدّى الأدباء لهذا الإدعاء الزائف وقاموا بتسفيهه في قصائدهم ووصفوا عمله بالاحتلال والاغتصاب. من الأدباء الذين ردّوا على هذا الزعم الباطل إيليا ابو ماضي الذي دحض فكرة حق الغزاة في أرض فلسطين وأجابهم بأن هذه الأرض كانت سكناً لأجدادنا وسوف تبقى لأحفادنا بعدنا وأنتم تستطيعون أن تستغنوا عنها بسواها ولكننا لا غني لنا عنها ولا تحسبوا أنكم تستطيعون أن تتخذوها موطناً لكم لأنها لم تكن يوماً موطناً لكم: [2]

و كانت لأجدادنا قبلنا

وتبقي لأحفادنا بعدنا

و إن لكم بسواها غنيً

وليس لنا بسواها غنيً

فلا تحسبوها لكم موطناً

فلم تك يوماً لكم موطنا

نصحناكم فارعوا وانبذوا

[2] ديوان إيليا أبو ماضي: قدم له وعلق عليه: إبراهيم شمس الدين، منشورات مؤسسة النور المطبوعات، بيروت، ط1، 2005م

بليفور ذيّالك الأرعنا

و إما أبيتم فأوصيكم

بأن تحملوا معكم الأكفنا

فإنا سنجعل من أرضنا

لنا وطناً ولكم وطنا

نـرى فـي هـذه القصـيدة أن إيليـا أبـا ماضـي يكـرر مـا للعـرب مـن حـق فـي هـذه الأرض بقولـه:«وكانـت لأجدادنا قبلنـا و...» ويهدد اليهود إن أرادوا أن يسكنوا على هذه الأرض بقوة السلاح فإن العرب سوف يواجهونهم بمثل تلك القوة وهو ينصحهم أن لا يظنوا أنها كانت يوماً ما موطناً لهم بل هي أرض عربية، وسوف تبقى للعرب أيضا وليس هذا مطلباً عسيراً علينا وما ترومونه أقرب إلى المحال.ثم يصعد الشاع من لهجته ويهددهم، إن لم يأخذوا بنصائحه فعليهم أن يحملوا أكفانهم معهم ويهيئوا أنفسهم للموت .الشاعر القروي يندّد باليهود الذين اغتصبوا فلسطين، و قصيدته "وعد بلفور"تبلغ سبعين بيتاً وفيها يمتلئ قلبه غيظاً وتشتعل حماسةً لإنقاذ الوطن السليب. هو لم يتصنّع ولو يزخرف عواطفه بل كان يتصبّب كالحمم ويندفع كالشلال.

« هو فـي أعاصيره نـاقم علـى من هدروا الحق العربـي فـي الأرض وسلّموا فلسطين رخيصـةً لحفنـةٍ من الغزاة علـى حساب شعب كامل.إنـه ضد الحكومـة جلالـة الملكـة الإنكليزيـة بـالمطلق وضد عطوفة معاني بلفور الذي رأى أنه يمثل الحق وجوانبه الفضلى والمثلى فهو أبعد ما يكون عن الحق، بل والحق منه براء. » [1]

فيقول الشاعر القروي في هذا الشأن: [2]

الحق منك..و من وعودك أكبر فاحسب حساب الحق يا متجبر

---

[1] أبا الفضل الوليد: ديوان الوليد أبو الفضل، راجعه وقدمه، جورج مصروع، دار الثقافة، بيروت، سنة 1972، ص 94-95.

[2] ديوان إيليا أبو ماضي: قدم له وعلق عليه: ابراهيم شمس الدين، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ط1، 2005.

تعِدُ الوعود وتقتضي إنجازها مهج العباد،خسئت يا مستعمر

عد من تشاء بما تشاء فإنما دعواك خاسرة ووعدك أخسر

يا مصدر الكذب الذي ما بعده كذب تعالي الحق عمّا تنشر

إنّ الشاعر القروى يهدف أساس الكيان الصهيونى معتبراً إياه كذباً، و يعتقد أنّه يسير نحو الزوال و الاضمحلال.و نرى الشاعر يخاطبهم بلفظة المستعمر،و هذا أشدّ إيقاعا عليهم، لأنّ المستعمر لابدّ له أن يترك الأرض المحتلّة إذا قام الشعب و استخدم سلاح الوحدة و الإرادة.

4- التنديد بتقصير العرب وحكامهم في الدفاع عن الحق:

كان الشاعر القروي في مقدمة من ندّدوا بسياسة حكام العرب و تقصيرهم عن مسؤوليتهم الإسلامى و الإنساني وقال في ذلك: «ما صدر بيان عن مؤتمرٍ من مؤتمراتنا أو تصريح لزعيم من زعمائها إلّا وكانت حقوق شعب فلسطين خاتمة مطافه كأنّه "و السلام عليكم ورحمة الله" ليقال إن المؤتمرين أو المدلين بالتصاريح لم يغفلوا هذه الناحية أو لأنّهم يخشون إذا هم أهملوا ذكرها، سخط الجماهير..فكأنّما هذه الحقوق قضيية فرعية بالنسبة إلى ما يعدونه القضية الجذرية الأولى بالتقديم، وهي رجوع إسرائيل عن أراضينا التي إحتلّها سنة 1967.و كأنّما هم يجعلون إصرارهم علي وضع هذا البند كلّ مرّة في جملة أو نهاية البنود التي يتّفقون عليها، منّة يمنّون بها علي الشعب الشريد وجهاداً سياسياً في سبيله لايقلّ عن الجهاد الحربي.فهل نسى هؤلاء السادة أن مأساة المآسي كلّها إنما هي احتلال فلسطين، وأنه لولا احتلال فلسطين لما احتلّ سواها. » .

و ما ذكرناه من الشاعر القروى واضح إلى أبعد حدّ، و ذلك لا يحتاج إلى أىّ تعليق،لأن العبارات تؤدى معناها جليّاً،فهو يتّهم زعماء العرب بالقصور عن مهمّتهم العربية و الإنسانية،

لأنّهم افترضوا قضية الفلسطين مسألة فرعية، بينما هى مسألة أساسية تفوق جميع القضايا العربية الإسلامية،و هى لمأساة عظيمة ينظر إليها زعماء العرب كأنه لم يحدث شئ.

و يقول ابو الفضل الوليد في هذا المضمار متسائلاً عن الذين قصّروا في سبيل وطنهم:

كل شعبٍ له أرضٌ يدبّرها

فيم التّصدي لمسعانا ومسعاك

من ذا يرقّ لمفجوعٍ بموطنه

بين الأراذل أو من يسمع الشاكي

يشكو الشاعر في هذين البيتين من ظلم الشعب الفلسطيني ويندب الإنسانية ويسأل مسترحماً: هل من إنسانٍ يرقّ لحال شعب فجع في موطنه؟ ومن فجعوه ليسوا إلا أراذل لا يرجى منهم أيّ خيرٍ. ويبدو من ظاهر البيتين أن الشاعر يندب الإنسانية جميعاً سواءً كانوا عرباً أم غير العرب،"فإذا كان الشعب الفلسطيني مقصراً في احتلال أرضه بيد الصهاينة فإنّ الحكام العرب أكثر تقصيراً منه لأنهم لم يواجهوا العدو ولم يدعموا الشعب الفلسطيني. بقيت آذان الحكام [1] العرب صماء وعيونهم عمياء، لا يرون ولا يسمعون إلا ما يراد لهم أن يسمعوه أو يبصروه من أسيادهم» [1]

و نرى الشاعر تهزّه هذه النكبة فيذمّ زعماء الدول العربية و قادتها و ينعتهم بالخيانة و العار.لذلك لا يرى بدّاً إلّا أن يدعو إلى الثورة و الانتفاضة.و نرى أبا الفضل الوليد يعطى قضية الفلسطين طابعاً عربياً إسلامياً حيث يقول: «أصحيحٌ يتغلب نصف مليون يهودي علي

---

[1] أبو الفضل الوليد: راجعه وقدمه، جورج مصروع، دار الثقافة، بيروت، سنة 1972، صص 30 31 .

[1] المرجع السابق، ص 35.

70 مليون عربي و400 مليون مسلم؟ أصحيحٌ أن فلسطين ذهبت لقمةً سائغةً في فم المشردين،و شعباً يقف متفرجاً،أو هو ضحية الكذب والخداع وخيانة القادة والحكام؟» [2]

و يستخدم الوليد لغة السخرية فى التعريض بحكام العرب و قادته و هو يختلف عن سائر الشعراء و الأدباء فى هذا المضمار فنراه يقول مستهزئاً بالقادة والحكام العرب: [3] ملوكٌ ظنناهم صقوراً وعندما غزينا رأينا صاحب التاج هدهد

يحسب الشاعر حكام العرب صقوراً صعبة المراس، لكنهم في الشدائد أماطوا اللثام عن هداهد لا خير فيها ولا منفعة. و هو يتهم الحكام الذين اعتبروا أنفسهم حماة فلسطين أنهم هم الذين حالفوا أمريكا وإسرائيل على أبنائهم، قائلاً: «لو لم يغدر به الذين يزعمون أنهم حماته ولا يزالون يغدرون ويحالفون أميركا وإسرائيل لإبادة أبنائه». [4]

و نجد الشاعر القروي في «الأعاصير" و"الزمازم" "ينحي باللائمة كثيراً على أعوان الأجانب من أبناء البلاد العربية الذين كانوا للدخيل سنداً ورمزاً: [5]

في فلسطين آية للرسول المنافقِ
سجّلت في صحائفٍ من قتام الحرائقِ
و تّلتهن للورى فوّهات البنادق
و روتهنّ ألسنٌ من حبال المشانق
يا لئاماً بعهدهم لم يقم عذر واثق
كلكم جدّ آفكٍ كذبونا بصادق!

---

[2] المرجع السابق، ص36.

[3] المرجع نفسه، ص 37

[4] الشاعر القروي: الأعمال الكاملة للنثر، جمعه وبوبه وضبطه، وشرحه، أحمد قاسم، طرابلس.

[5] سيمون عواد: أحاديث مع الصحافة، مؤسسة بدران وشركاته للطباعة والنشر، لبنان، ص 10.

في هذه الأبيات يرى الشاعر القروي أن فلسطين أصبحت علامة نستطيع أن نعرف بها الرسول المنافق المرائي من الرسول الحقيقي المجاهد وكل ما جرى عليها وما رتلته بنادق الحرب وما روته حبال المشانق كشف عن زيف الحكام وعن عهودهم الكاذبة.

وهذا موسي حداد شاعر مهجريّ آخر قد أعطى فلسطين جزءاً غير يسير من أشعاره وندّد بحكام العرب وبتخاذلهم أمام تمرد الصهاينة ويصف حال الشعب الفلسطيني كيف مدّ يده للمساعدة ولكن حكام العرب نيام أو كالنيام يقول: [1] فلسطين مدت يديها وصاحت أغيثوا فلسطين طال الهجود .

5- تهديد المحتلين والدعوة إلى النضال:

ومما قام به أدباء المهجر في نضالهم الأدبي مع العدو المحتل أنهم كانوا يهددون الصهاينة ويدعون مواطنيهم إلى مقاومة العدو ومحاربته. والبعض منهم كان يعتبره المبدأ الأول لتحرير أرض فلسطين يقول أمين الريحاني في إحدى كتاباته:«و المبدأ الجوهري الأول هو مقاومة الصهيونية، فهل تستطيعون أن تقاوموها بشقاقكم يا ترى، وبتخريبكم، وبمطاعن بعضكم إلى بعض؟ » [1]

وأنصت إلى الشاعر القروي وهو يحرض العرب على الثورة: [2]

يا عرب، والثارات قد خلقت لكم اليوم تفتخر العلى أن تثأروا

يدعوك شعبك يا صلاح الدين قم تأبى المروءة أن تنام ويسهروا

نسي الصليبيون ما علّمتهم قبل الرحيل فعُدْ إليهم يذكروا

إن تأمني خطر البحار فإنما دمع الأرامل واليتامى أخطر

---

[1] صابر عبد الدايم: أدب المهجر، دار المعارف، ط1، 1993 ص،107.

[1] المرجع السابق، ص 109.

[2] أمين الريحاني، القوميات، دار الريحاني، بيروت 1956، ج2، ص200.

يهيّج الشاعر الشعب العربى الإسلامى بأنّهم أصحاب الثأر، و التاريخ يشهد بذلك، فيذكّرهم أيامهم الخالدة و خاصة أيام صلاح الدين و ما فعله بالصليبيين. ويطلب منه أن يعود و يكرّر ضربته القاضية عليهم لأنّهم نسوا درسه و طعنوا فى فلذة من الوطن العربى الإسلامى، فمن يأمن من أخطار البحر فإن دموع اليتامى لامنجى منها وهي سوف تقوض عرش الظلم حتماً.

و يتضح وعي الشاعر ابو الفضل الوليد بالقضايا المصيرية وخاصةً قضية فلسطين في قصيدته "المقدسية" فيقول مخاطباً القدس: [3]

أنت العظيمة فوق الرمل نائمةٌ أنت الكريمة في أيام بؤساك

وافاك في ليلة المعراج سيدنا محمد وكتاب الله سماك

إن السيوف علي الأغماد حاقدة لأنها لم تجرد في رزاياك

يمشي الأجانب في غوغائهم مرحاً ولا سكون لمن شاقته سكناك

و لا يكفي أبو الفضل أبو الوليد بالندم والبكاء أمام أطلال الذكريات في القدس،بل يدعو إلى الثورة و يعتقد أنّ السيوف إذا كانت فى أغماده فلا يجدى شيئاً و لو كانت حاقدة.فالقوة تفرض إرادتها ولا قوة بغير وحدة تدك عرش التخاذل وتزلزل جدار الاستسلام والتفرقة.هذا يثبت أنّ رؤية الوليد السياسية كانت ناضجة إزاء هذه القضية التى تتعلق بالإنسانية عربياً و إسلامياً.

وهو يقول في مكان آخر: [1]

فحرّضيهم على تقطيع سلسلةٍ هم راسفون لها ما بين أشراك

بالروم ضحّي وضحّي باليهود معاً فالله ترضيه في الأضحى ضحاياك

---

[3] المرجع نفسه، ص 203.

[1] المرجع السابق، ص 207.

كذلك إلياس فرحات الذى أحس بنوايا الحكومة البريطانية وهي تقدم فلسطين لقمة سائغة إلى اليهود. فأخذ يهاجم الملوك العرب لتصديقهم بوعود الغرب المزيفة وسكوتهم إزاء المظالم التى تجرى فى فلسطين، فكتب ملحمة شعرية يقول فيها: [2]

يا من طغوا وتمادوا عاقدين على وعد سخيف بناء الشمخ القبب

ستعلمون متى حاق البلاء بكم كم في الوعود وفي الآمال من كذب

سنغسل القدس من أوساخ أمتكم يا أمة الوسخ المطلي بالذهب

و التل،تل أبيب سوف نتركها تلاً من الروم في بحر من اللهب

بنتموها بمال السحت عاصمةً وليس يصمكم منا سوي الهرب

هذا المقطع من القصيدة تمتلىء بالمفردات التى تحمل معانى السخط والغضب «طغوا تمردوا، وعد سخي،أمة الوسخ...»وهى تعبر عن مدى ما يحمله الشاعر في نفسه من همّ . و نرى الشاعر يصفهم بالطغيان والتمادى فى غيّهم.ثم يهدّدهم بإيقاع البلاء عليهم فعندئذٍ يتضح كذب آمالهم و أمانيهم.و الشاعر ينعتهم بما عرفوا زمن النبى من الوساخة و القذارة و يعدهم بأن الشعب العربى الإسلامى سيزيل من القدس أوساخهم و سيترك تل آبيب تلّاً فى بحرٍ من النار.

وفى قصيدةٍ أخرى ينظر الشاعر الياس فرحات إلى يهود نظرة احتقار وازدراء ويعتبرهم دون البشر، يقول وهو يسخر منهم: [1]

و ما شأن اليهود وكيف تعلو مع التآزر أصوات النعيب

و هل صار اليهود اليوم ناساً إذن فالناس في وضع معيب

ينظر القروي إلى المستقبل ويصف واقع اليهود وصفاً دقيقاً لامساً بؤرة الجرح وكاشفاً اللثام عن أطماع اليهود، ويرى أن السلام في العالم أمنية لاتحقق لأن أمريكا واليهود أكبر همهما هو

---

[2] عبد الله الخوري بشارة" شعل الأخطل الصغير، دار الكتاب العربي، ط 1، 1993، ص13.

[1] المرجع السابق، ص 14.

التسلح وبثّ النشاط في الشركات التي تولد الآلات الفتاكة فهم في الواقع يتنكرون خلف جلود ظاهرها إنسان وخلفها وحشٍ ضارٍ ومهما بلغوا في المدنية يقون بربراً بل أخس من البربر يقول:

أمنية الدنيا السلام وإنما تحقيقها فرضٌ علي من يقدر

هيهات والتسليح أكبر همك والوحش خلف جلودكم متنكر

ما روض التمساح صقل أديمه مهما تمدنتم فأنتم بربر

وينادي أبو الفضل الوليد الأمة العربية ويطلب منها أن تطهر القدس الشريفة من رجس اليهود ومن دنسهم ولا تأتمن على قوم لا شرف لهم ولا هم يلتزمون بوعودهم ولا ذمة لهم تردعهم من الفتك بضعاف الناس، يقول في ذلك: [2]

و طهّري القدس من رجسٍ ومن دنسٍ وأصلي سيف سفّاكٍ لسفاك

ماذا ترجين من قومٍ بلا شرفٍ ولا عهودٍ ومنهم كلّ فتّاك

6- التنديد بالإنكليز من أجل مساعدتها للصهاينة على إقامة كيان لهم في فلسطين:

إن شعراء المهجر كانوا يعيشون فى الغرب و كانوا مطلعين تماماً على ما يجري فى الساحة السياسية العالمية وكانوا يعلمون أيضاً أن اليهود لم يتمكنوا من أرض فلسطين إلا بمساندة الغرب لهم فى سياسته وأسلحته الفتاكة. جاء فى كتابات الياس فرحات بهذا الصدد:

هم «لا يستطيعون الوقوف في وجه العرب،و لكن الذي ساعدهم علي احتلال فلسطين وجود الإنجليز والدول الأوربية من ورائهم.أما بعد أن يخرج الإنجليز من فلسطين،فلن يكون هناك من يحميهم ويدافع عنهم،و لن يستطيعوا الوقوف في وجه العرب،إذ سرعان ما سيبتلعهم المحيط

[2] المرجع نفسه، ص17.

العربي،و لابد أن يتحملوا مسؤولية أعمالهم. » [1] هكذا كان يفكر فرحات،و هذا ما جعله يرفع صوته من خلال دوامة ألم النكبة قائلاً: [2]

قل للمغير على منازلنا كالسيل ينفذ من هنا وهنا

حملت نفسك فوق طاقتها وركبت ويحك مركباً خشنا

إن لم يكن زمن يوافقنا للثأر منك سنخلق الزمنا

فاجعل ضريحك جاهزاً أبدا وأعد نعشك واحمل الكفنا

يهدّد الشاعر فى هذه الأبيات المغتصبين الذين أغاروا على هذه الأرض المقدسة ويقول لهم بأنهم حمّلوا أنفسهم ما لا تطيق حمله وركبوا مركباً لم يلبثوا طويلاً فوقه وإذا كان الزمان لا يجارينا لنثأر منكم فإننا سوف نخلق الزمان خلقاً جديداً ً واستعدوا للموت فإنه آتيكم لا محالة.

و يقول أبو الفضل الوليد: [1]

الإنكليز استبدوا واليهود بغوا

مستضحكين لدمع المسلم الباكي

إن نزوعه القومي الصادق واضح في هذا البيت ولم تغب عن بصيرته الأحداث التى تجرى على أمته وإن غابت عن بصره.و كان كمن يرصد كل ما يحدث في وطنه ليرسمه في قوافيه.فكان يفرحه ما يفرح أهله وأحبته في وطنه ويبكيه ما يبكيهم.

ومن الأدباء الذين نددوا بسياسة الإنكليز لمساعداته على تشكيل حكومة اليهود هو الأديب المهجري ميخائيل نعيمه، يرى ميخائيل أن ما قامت به الإنكليز من مساعدة اليهود ليستوطنوا أرض فلسطين عمل غير شرعي لاتجوزه الديانات السماوية وكيف يحق للإنكليز أن يدّعوا أن

---

[1] الشاعر القروي، الأعمال الكاملة للنشر، ط1، ص232.

[2] الوليد: ديوان الوليد أبو الفضل، سنة 1972، ص93.

[1] المرجع السابق، ص 94-95.

أجداد اليهود سكنوا أرض فلسطين فهي ملك لهم قد غصبها الفلسطينيون، وهل عاش السكسونيون أمريكا وكندا واسترالية من قبل حتى يحق للإنكليز أن يستحلوها اليوم جاء في مقال له بعنوان« فلسطين مملكة يهودية » فبأي شرعٍ أو دين أو حق يجوز للإنكليزي أو سواه أن يأتي بيهوديٍّ إلي ساكن فلسطين ويقول له:"أجداد هذا الرجل كانوا يقطنون في هذه البلاد من ألفي سنةٍ.و هكذا فالأرض أرضه لأنه ورثها عن أجداده.أما أنت ففتّش لك عن أرض غير هذه الأرض فقد تعدّيت علي حقوق هذا الإنسان تعدِياً".فهل قطن أجداد الإنكليزي في كندا أو استراليا أو الترنسفال أو مصر أو هند أو غيرها؟ و من أوحي له بحق الوراثة في تلك البلدان؟» (2)

و يعتبر ميخائيل نعيمة تشكيل دولة يهودية فى الأراضى الفلسطينية بأنّها جريمة لا تغتفر و يعتقد أن أسباب هذه المسألة ترجع إلى الأهداف السياسية و الدينية البغيضة.

أنصت إليه و هو يقول: «و الله لتلك أكبر جريمة ترتكبها انكلترا بل العالم كلّه إذا باعوا فلسطين و سكانها لليهود لمطامح سياسية أو ترهات دينية» (1)

و بهذا وقف الشعراء والأدباء المهجريون موقفاً صارماً لا غبار عليها، ضد الاستعمار البريطانى- الإسرائيلي وكان غضبهم واضحاً في شعرهم ونثرهم، وكان إعتناءهم ببيان افكارهم أكثر من إلتزامهم بالأمور الفنية فى الأدب.

7- ضرورة الوحدة العربية الإسلامية:

إن أمين الريحاني كما تنبأ بنوايا الإنكليز واليهود لتأسيس دولة اليهود على أرض فلسطين كذلك علم أن الطريق الوحيد للخلاص من هذه الكارثة التي تنداح في سماء العالم العربي الإسلامي

(2) إلياس فرحات: الخريف سان بالو، 1954، ص 88.

(1) المرجع السابق، ص89.

هي المقاومة ووحدة الأمم العربية الإسلامية وقد قسم الأمور التي تتعلق بهذه القضية الى ثلاثة أقسام:

- إتحاد الشعب الفلسطيني والأمة العربية.
- جهاد عام يشمل كل الأمة العربية.
- التضحية بالنفس والنفيس في هذا السبيل.

جاء في مقاله: « إخواني،من الأمور التي تتعلق بقضيتنا العربية ثلاثة أصبحت عندي في منزلة اليقين:أولاً:إن اتحاد عرب فلسطين–في فلسطين اتحاد ثابت وطيد لا يتزعزع،هو المثال الأعلى لما ينبغي أن يكون هدف الأمة العربية جمعاء.ثانياً:إن الجهاد في سبيل القضية الفلسطينية خصوصاً والقضية العربية عموماً جهاد شديد عميم، يخولنا أن نغتبط به. ثالثاً: إن التضحية بالدم والمال في سبيل الوطن لاتذهب اليوم سدىً. » [1]

هذه السطور التى أوردناها يكشف بوضوح عن موقف الريحانى إزاء قضية فلسطين، و تقع فى مقدمتها الدعوة إلى الوحدة و التضامن.يعتقد الريحانى أن الأمة العربية الإسلامية إذا لم تكن متحدة فلا تثمر و لا تجدى انتفاضتهم و لا تنتهى إلى تحرير الأراضى المحتلة.كما أنه كان يدعو إلى الوحدة في كثير من محاضراته التي كان يلقيها في الولايات المتحدة، يطلب من عرب فلسطين الذين ينقسمون إلى طوائف متعددة أن ينبذوا خلافاتهم القومية والقبلية ويتحدوا أمام هذا العدو المشترك وإلا فإن الكارثة ستحل لا محالة بأرض فلسطين، نراه يرفع عقيرته في إحدى هذه المحاضرات قائلاً: [2]

[1] محي الدين البرادعي: الماهجرة والمهاجرين، ص32.

[2] المرجع نفسه، ص 34–35.

»الفلسطينيون والعرب عليهم أن يتوحدوا في المعركة ضد الصهيونية.و إلا تستنزل بهم المصيبة والكارثة.الحسينيون وآل نشاشيبي وآل طوقان وآل عبد الهادي وغيرهم من السلائل الفلسطينية المعروفة إذا ظلوا منقسمين فستحل الكارثة بفلسطين». والشاعر القروي يمجد الشهداء الذين أصبحوا كحبل وحلقة وصل تجمع ما تناثر من دنيا العروبة تجمع بين ما انفرد منها وكلامه يعتبر صرخة مدوية في وجه أنانية اليهود الغاشمة يقول: [3]

أكرم بحبل غدا للعرب رابطة

وعقدة وحّدت للعرب معتقدا

واضح أن القروى يعتبر الإسلام رمزاً للوحدة بين الدول الإسلامية ، و كأنه اقتبس بيته المذكور من هذه الآية الكريمة « و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقوا ».

8- اقتراح تشكيل دولة يهودية في بلاد أخرى:

كان مقتل ملايين من اليهود–لو صح–في الحرب العالمية الثانية بيد هيتلر ذريعةً على تأسيس دولةٍ يهوديةٍ في الأراضي الفلسطينية. إن الشعراء والأدباء كانوا في مقدمة الذين قاموا بالنضال ضد هذه المسألة، واتخذوا من أدبهم مجالاً لأن يفضحوا الدولتين الإنكليزية والأمريكية. هؤلاء الأدباء كانوا واعين بخطورة تشكيل دولة يهودية في أرض فلسطين، لذلك قاموا بالتنديد بهذا العمل واقترحوا أمكنة أخرى لتشكيل هذه الدولة المشؤومة.

واقترح ايليا ابو ماضي في قصيدته تحت عنوان"خطب فلسطين" تأسيس دولة يهودية في لندن.وكان يعتقد أن لندن أوسع لهم من القدس وأحب إليهم من القدس: [1]

فقل لليهود وأشياعهم

---

[3] صابر عبد الدايم: أدب المهجر، ص25.

[1] سيمون عواد: أحاديث مع الصحافة، ص32.

لقد خدعتكم بروق المنى

ألا ليت بلفور أعطاكم

بلاداً له لا بلاداً لنا

فلندن أرحب من "قدسنا"

وأنتم أحب إلى "لندنا "

ويبدو أن هناك اقتراحاً من قبل أمين الريحاني لتأسيس دولة لليهود في ولاية تكساس بأميركة جاء في مقال نشرته مجلة « فلسطين وشرق الأردن » الإنكليزية ولكنا لم نعثر على نص الاقتراح [2] .

هذا ولا ندّعي أنّنا استوفينا المأساة الفلسطينية بجميع جوانبه في الأدب المهجري، لأنها مأساة تجل عن الوصف وكل جانب منها يستوعب لعشرات الكتب والمقالات.

[2] المرجع نفسه ، ص 32.

I- التعريف بالشاعر:

أ- مولده ونشأته:

يعتبر إيليا أبو ماضي زعيم شعراء الرابطة القلمية، وهو شاعر لبناني أصيل، من مواليد قرية "المحيدثة" عام 1889م، وهي قرية هادئة بعيدة عن الصخب والضجيج، تميزت بطبيعتها الساحرة، ومناظرها الخلابة نشأ فيها صغيرا، واتم دراسته الإبتدائية بها، كان والده رقيق الحال، بمارس عمله الريفي المتمثل في تربية دودة القز والعناية بأشجار التوت، وقد كان يعيل أسرته المتكونة من خمسة أولاد: مراد، إيليا، متري، طانيوس، وأوجيني. [2]

ويتحدث إيليا عن طفولته في قريته الصغيرة قائلا:

وطن النجوم أنا هنا * حدق...أتذكر من أنا؟**

ألمحت في الماضي البعيد * فتي غريرا أرعنا**

جذلان يمرح في الحقول * وكالنسيم مدندنا**

المقتني المملوك ملعبه غير المقتني

يتسلق الأشجار لا * ضجرا يحس ولا ونى**

ويعود بالأغصان يبر بهما سيوفا أو قنا

ويخوض في وحل الشتا * متهللا متيمنا**

لا يتقي شر العيون * ولا يخاف الألسنا**

وكم تشيطن كي يقول * الناس عنه تشيطنا**

---

[2] طالب زكي طالب: ايليا أبو ماضي بين التقليد والتجديد منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ت، ص 35.

أنا ذلك الولد الـــذي * دنياه كانت هاهنـا**[1]

تلك صورة من طفولة إيليا أبو ماضي حين كان يمرح طفلا على الأرض النضرة من قريته " المحيدثة"، في سنة 1900 شد أبو ماضي رحاله إلى مصر، بعد أن ضاقت به الحياة في لبنان، فودعه أسفا مكرها على فراقه قائلا:

أرض أبائنا عليك السـلام * وسقى الله أنفس الآبـاء**

ما هجرناك إذ هجرناك طوعا * لا تظني العقوق في الأبناء**

ويعد أن استقر به المقام في مصر، بدأ يعمل مع عمه الذي يتعاطى بيع السجائر يقول: " وفي الإسكندرية تعاطيت بيع السجائر في النهار في متجر عمي، وفي الليل كنت أدرس النحو و الصرف تارة على نفسي، وتارة في بعض الكتاتيب"[1] ، إلى جانب هذا أخذ يطالع في الصحف، والمجلات الأدبية المعروفة في ذلك الوقت ويطلع على أشعار الشعراء المشهورين مثل محمود المطالعات في الشعر يبدأ بنظم الشعر وما إن اجتمعت له مجموعة من قصائده، ومقطوعاته حتى ضمها بعضا إلى البعض، وأخرج ديوانه الأول في الإسكندرية بعنوان " تذكار الماضي".

ب- هجرته:

كانت حياة إيليا في مصر هانئة، وبعد أن عرف إسمه في عالم الصحافة والشعر، ولكنه ما كاد يصدر ديوانه " تذكار الماضي" وينشره بين الناس، حتى حدثته نفسه بالرحيل، ومل الحياة في الشرق، فيمم شطر العالم الجديد، وقد إختلف المؤرخون في بيان أسباب هجرته من مصر خاصة أنهم يجدونه يذكرها دائما بالخير، ويحن إليها وإلى أهلها وهو في العالم الجديد، فهناك من يرجع السبب في هجرته إلى مهاجمة ديوانه" تذكار الماضي" في مصر، مما أزعجه وأُلق باله، والثاني

---

[1] تبر وتراب، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1961، ص07.

[1] حنا الفاخوري: الموجز في الأدب العربي وتاريخه، دار الجيل، بيروت،د.ت، ص 644.

فشله في التجارة بمصر، والثالث وهو الأرجح أنه من البداية كان إتخذ السفر إلى مصر خطوة أولى تمهد إلى الهجرة الثانية إلى العالم الجديد، فكثير من اللبنانيين و السوريين كانوا يجيئون إلى مصر ومنها يذهبون إلى أمريكا بالبواخر.

فغادر مصر إلى أمريكا الشمالية عام 1911م، وختار " سنسناتي" ليقيم فيها، و هناك واصل عمله في التجارة، وإلى جانب هذا كان يقضي أوقات فراغه في دراسة ما أحضر معه من أدب وشعر، لكنه لم يلق في هذه المدينة ميدانا يعرض فيه شعرة وأفكاره، فلم يكن له إلا الإنفراد والوحدة، وعدم مخالطة الناس، وهنا تذكر مصر وادباءها، وشعراءها، وصحافيها، فحن لعهده فيها، وقارن بينها وبين هذا العالم الذي يحيط به، والذي تملؤه المادة التي لا تدع مكانا للروح، وخاصة لروح الشاعر الملهم، فكتب قصيدة من جيد الشعر سماها " صاحب القلم"، ذكر فيها نفسه وشقاءه بهذا القلم الذي لازمه طوال حياته، وطافت بخياله أرض الكنانة، وأيامه وعيشه فيها، فقال :

ليس الوقوف على الأطلال من خلقي *** ولا البكاء على ما فات من شيمي**

لكن "مصر" وما نفسي بناسيــة *** مليكة الشرق ذات النيل والهرم**

صرفت شطر الصبا فيها فما خشيت *** نفسي العثار، ولا نفسي من الوصم**

حيث لم يجد بين هؤلاء الناس من يقدر معنى شعره، ويتذوق فنه، فهم منغمسون[1] في الماديات، لا يأبهون للروحانيات وللمعنويات وهو غير مثقفين، لا يعرفون عن الادب شيئا، يقول:

أصبحت في معشر تقذى العين بهم *** شر من الداء في الأحشاء والتخم**

ما عز قدر الأديب الحر بينهـم *** إلا كما عز قدر الحي في الرمم**

---

[1] نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، دار المعارف، مصر، 1964، ص 319-321.

من الأعارب لكن حين أنشــده *** جواهر الشعر ألقاه من العجـم**

ما إن تحركه هما ولا طربــا **** كأنما أنا أتلوه على صنـم**

وواضح من هذه الأبيات أنه لم يكن سعيدا في تلك البلدة، ولم يهنأ في عيشه بين هؤلاء القوم البلداء، وعز عليه أن يرى جواهر شعره مهانة ذليلة، لا تجد من يتمتع بها، فيعجب بجمالها، وبعد أن قضى بها خمس سنوات، مرت بطيئة متثاقلة في نظره، قرر الإنتقال إلى مدينة " نيويورك"، حيث انضم إلى الأدباء والشعراء الذين كونوا الرابطة القلمية، وهناك واصل نظم الشعر، فاتصل بالأدباء وأصحاب الصحف، واستغل بالتحرير في صحيفة " زحلة الفتاة" وفي " مرآة الغرب"، و ما لبث أن ظهر اسمه بين الكتاب والشعراء في تلك المدينة، فعرفه الناس شاعرا وأديبا، مما شجعه على إصدار ديوانه الجديد المسمى "ديوان إيليا أبو ماضي" في عام 1919م، واستمر أبو ماضي بنظم الشعر حيث أصدر ديوان " الجداول" سنة 1927م، وكان قد تشبع بقوانين الرابطة وأهدافها ومبادئها، فنراه يستمر في التعبير عن ذلك في شعره التالي، الذي جمعه في ديوان " الخمائل" الذي جاء صورة من صور التطور، ودرجة من درجات التقدم في الشاعرية إذ يشتمل على قطع شعرية تخيلية روحية تنقل القارئ إلى عالم من الخيال الروحي السامي كما في قصته الشعرية " أمنية إلهة" حيث يقول على لسان تلك الإلهة:

أريد دنيا فيها شـعاع *** يبقى إذا غابت النجـوم**

أريد دنيا تحس نفسـي *** فيها نفوسا بلا جسـوم**

أريد خمرا بلا كـؤوس *** من غير ما تنبت الكروم**

أريد عطرا بلا زهـور *** يسري وإن لم يكن نسيم [1]**

---

[1] المرجع السابق، ص 322، 232، 327..

و بعد أن داع صيته وعلا اسمه في ميدان الشعر، راودته ميله الصحفية بعأن أتعبه العمل التجاري، فأنشأ مجلة " السمير" في 15 أفريل 1929م وجعلها نصف شهرية، مقرها نيويورك، التي شدت فراغا كبيرا في أدب المهجر، وقامت بدور خطير في تطور الحياة الثقافية والاجتماعية للمهاجرين، إذ نجد أن شعراء المهجر الجنوبي كانوا يرسلون مقطوعاتهم و قصائدهم لتنشر في هذه المجلة [2].

وعاد إلى المهجر بعدما كحل عينيه برؤية وطنه، وفي سنة 1957 توقف القلب الكبير عن الخفقان وجمدت الأنامل التي كانت تخط أروع الشعر وأصدقه، وانتقلت إلى باريها [1] وهو لا يزال في اوج عطائه الشعري، وطبع له بعد وفاته ديوان تبر وتراب.

II- خصائص شعره :

---

[2] المرجع السابق: ص 328،329.
[1] طالب زكي طالب: ايليا أبو ماضي بين التقليد والتجديد، ص 39، 40.

أجتمعت في شاعرنا ميزات وسمات، لم تجتمع في غيره من الشعراء، فهو شاعر المهجر الأكبر، وشاعر الفكر والتأمل، وشاعر التفاؤل فهو المتشائم الذي أعياه طول التفكير و البحث عن أجوبة لأسئلة، لم يطرحها أحد من معاصريه، هو الباحث عن السعادة دون أن يجدها، لأنها بالنسبة إليه مجرد فكرة، هو الطفل، والشاب والشيخ، وكأنه كتلة من المتناقضات، كتلة من الشحنات الموجبة والسالبة، تتصارع داخله، لتنتج لنا شعرا متميزا عن غيره، ولعل هذه المتناقضات هي التي جعلت من شعره شعرا متميزا، و من الخصائص التي تميز بها شعره، نذكر:

1- الحنـين:

ليس غريبا أن يأتي شعر إيليا مصبوغا بالشوق والحنين، وهو الذي ينبع من قلب حكمت عليه الظروف بالبعد والحرمان، وقد كان إيليا يحن إلى أمه، و وطنه، ومن هذا الشعر الزاخر بدفء العاطفة نحو الأم وتقديس واجبات الأبناء نحو أمهاتهم يقول:

وأنت؟ قال الصحب واستضحكوا * هل لك حسناء تحيـيها؟**

قـال : أجل، أشرب سر التي * بالروح تفيدني وأفيدهـا**

لا تترضانـــي رباعا ولا * تلثمني كذبا وتمويهـا**

يضيع مالي ويزول الصبـا * وحبها بـاق وحبيها**

سر التي لا غادة بينكـم * مهما سمت في الحب تحكيها**

فصـاح رب الدار يا سيدي * وصفتها لم لا تسميهـا**

أتخجل بمن تهوى

أحسناء بغير إسم

فأطرق غير مكترث

وتمتم خاشعا ... أمي [1]

وهذا الدليل على انه دائم الشوق والحنين إلى أمه، التي لن ينتهي حبه لها، ولا حنينه أيضا، وكيف ينتهي، وهي أجمل حسناء، تستحق الثناء والتقدير، فهي التي تغذيه بروحها، وبكل ما تملكه دون إنتظار شكره وثنائه بل تفعل ذلك بثغر بإسم.

وكما يحن إيليا إلى أمه، يحن أيضا إلى أمه الثانية: " لبنان" التي يذكرها فتنساب في نفسه ينابيع الفرح والسرور، فيقول في قصيدة عنوانها " لبنـان":

إثنان أعيا الدهر أن يبليهما * لبنان والأمل الذي لذويـه**

نشتاقه والصيف فوق هضابه * ونحبه والثلج في واديـه**

وإذا الصبايا في الحقول كزهرها * يضحكن ضحكا لا تكلف فيه**

وطني ستبقى الأرض عندي كلها * حتى أعود إليه أرض التيه**

إن حدوثك عن النعيم فأطنبوا * فأشتقته لا تنس أنك فيه** [2]

---

[1] الجدول: ص 120.
[2] الخمائل: ص 142.

ومن خلال هذه الأبيات نستشف هذا الحنين الدائم إلى وطنه، وإلى كل شئ فيه، من هضاب وثلوج وديان و صبايا، وستظل تائها في هذه الأرض، إلى أن يعود إلى لبنان وان أكبر نعيم يعيشه المرء هو وجوده في وطنه.

ويبقى إيليا دائم الاشتياق والحنين إلى وطنه، فيقول في قصيدته " الشاعر في السماء":

وليس ما يي يا رب داء * ولا إحتياجي إلى دواء**

ولا أريد الأذى لغيري * ذا حكمة كان أو مضاء**

لكن أمنية بنفس يسترها الخوف والحياء

فقال: يا شاعر عجبا، قل إذن ما الذي تشاء

فقلت: يا رب فصل صيف * في أرض لبنان أو شتاء**

فإنني هنا غريـــب * وليس في غربة هناء[1]**

فأمنيته الوحيدة هي العودة إلى ربوع وطنه، فهناك فقط يجد راحة نفسه وهنائه، ومما يدل على شدة تعلقه بوطنه هو تألمه لألم شعبه، إذ يقول في قصيدته " متى يذكر الوطن النوم":

جلست وقد هجع الغافلون * أفكر في أمسنا والغد**

فخلت اللواعج بين الجفون * وإن جهنم في مرقدي**

وضاق الفؤاد بما يكتـم * فأرسلت العين مدرار ها**

ذكرت الحروب و ويلاتها * وما صنع السيف والمدفع[2]**

---

[1] الخمائل: ص 123.
[2] الجداول: ص 189.

2- حبه للطبيعة:

إذا كان الشاعر أسرع الناس تجاوبا مع الطبيعة وأصدائها، واكثرهم تجاوبا مع أنغامها، فإن أبا ماضي كان من بين الشعراء الذين أظهروا تعلقا كبيرا بالطبيعة وجبالها، فكان إذا بم يجد الطبيعة، أو لم يستطع الوصول إليها، خلقها في ذهنه وخياله، فيقول:

إذا أنا لم أجد حقلا مريعا * خلقت الحقل في روحي وذهني**

فكادت تملأ الأثماء كفي * ويعبق بالشذى الفواح ردني[1]**

وليس غريبا من أبي ماضي دو الحس المرهف، والنفسية الشفافة الشاعرة أن يعشق الطبيعة ويحبها، فهو يعيش في نيويورك، في محيط تملؤه الآلات الصناعية، وكتل بشرية متلاطمة، فكيف لا يضيق بهذه البيئة؟ وكيف لا يستجيب لنداء نفسه ويهرب إلى الطبيعة، حيث الهدوء والراحة:

سئمت نفسي الحياة مع الناس * وملت حتى من الأحباب**

قالت: أخرج من المدينة للقفز * ففيه النجاة من أوصابي[2]**

وهكذا يغرق الشاعر في الطبيعة، حيث الفضاء الرحب، فيه سورا لم يجدها في متاب، و السواقي تسمعه صلاة لم يرددها كاهن، وكؤوسه الأوراق يهتدي بالضحى نهارا، وبضوء الشهاب ليلا، ليقضي في الغاب وقتا جميلا إلى جوار الجداول والأعشاب، يقول:

وكتابي الفضاء أقرأ فيــه * سورا ما قرأتها في كتــاب**

وصلاتي الذي تقول السواقي *** وغنائي صوت الصبا في الغاب

وكؤوسي الأوراق ألقت عليها *** الشمس ذوب النضار عند الغياب

---

[1] الخمائل: ص 41.
[2] الجداول: ص 48.

نهتدي بالضحى فإن عسعس الليل * جعلنا الدليل ضوء الشهاب**

وقضينا في الغاب وقتا جميـلا * في جوار الغدران والأعشاب[1]**

ويمتزج أو ماضي مع الطبيعة، ويرق مع رقتها، فنراه يوازن بين " روحه" و"قطرة الطل"، ويقول:

إن تر زهرة ورد فوقها للطل قطره

فتأملها كلغز غامض تجهل سره

ولتكن عينك كفا وليكن لمسك نظره

رب روح مثل روحي عافت الدنيا المضره

فارتقت في الجو تبغي منزلا فوق المجره[2]

وقد برع أبو ماضي في نفث روح الحياة في الطبيعة، واتخذ من مظاهرها وفضائها، و زهرها ألوانا أجاد رسمها في صورة فنية، إذ يقول في قصيدة " بين مد و جزر":

سيرت في فجر الحياة سفينـتي * واخترت "قلبي" أن يكون إمامي**

فجرت على الأمواج قصرا من رؤى * ملء الفضا ملء المدى المترامي**

ومشى الخيال على الحياة بسحره * فإذا الهوى في الماء والأنسام**

وإذا العباب ملاعب ومراقـص * وإذا أنا من صبوة لغرام[3]**

وقد تذكره بحب قديم فتثير شجونه، وتذكره بالعمر الذي انقضى، وأيامه الحلوة التي قضاها في غابته التي فقدتها: فيقول في قصيدته "الغابة المفقودة":

---

[1] الجداول: ص49.
[2] الجداول: ص90.
[3] الخمائل: ص216.

يا لهفة النفيس على غابة * كنت وهندا نلتقي فيها**

أنا كما شاء الهوى والصبا * وهي كما شاءت أمانيها**

لله في الغابة أيمانا * ما عابها إلا تلاشينا**

لا غابتي اليوم كعهدي بها * ولا التي أحببتها فيها[1]**

وهكذا نرى الشاعر يجول بإحساسه في مظاهر الطبيعة المختلفة، إذ يجسدها، ويتحد معها، حتى إن قد يحاورها، ويطيل الحديث معها، كما فعل في قصيدته " العليقة " التي يقول فيها:

قلت: يا ساكنة الغاب، ويا بنت التراب

لا تلجي في اجتذابي، أو فلجي في اجتنابي

إن عودا فيه ماء ليس عودا لاحتطاب

أنا لم أضجر من العيش ولم أمل صحابي[2]

وهكذا صور أبو ماضي الطبيعة، فانعكس جمالها في جمال نفسه وصفاء سمائها في صفاء ألحانه، وانعكست عذوبة مياهه في عذوبة ألفاظه، كأن الطبيعة شعرت بصدق حبه لها، فباحث له بأسرار سحرها، ولنستمع إليه، وهو يخاطب الفراشة في قصيدته " الفراشة المحتضرة":

فيم إرتجاجك هل في الجو زلزلة * أم أنت هاربة من وجه فتاك؟**

وكم تدورين حول البيت حائرة * بنت الربى، ليس مأوى الناس مأواك**

رأيت أحلام أهل الحب كلهم * لما مثلث أمامي عند شباكي**

أليس فيك من العشاق حيرتهم؟ * فكيف لا يفهم العشاق نجواك؟[3]**

---

[1] الخمائل: ص 156.
[2] الجداول: ص 114.
[3] الخمائل: ص50.

3- النزعة الإنسانية:

تنطلق هذه النزعة من شعوره بالاغتراب، و الرغبة في الإئتناس بالوجود الإنساني كله، لملء الفراغ الذي تركه وطنه في نفسه، وبهذه النزعة أستطاع أن يكسر حاجز الذاتية والفردية، وتحطيم جدار الانغلاق، وبذلك استطاع أن يستوعب المعاني السامية الكامنة حول الوجود الإنساني بانتصاره على فرديته فهو لا ينتمي إلى وطن معين أو دين، بل ينتمي إلى الإنسانية التي لا يحدها زمان ومكان ولا دين ولا قومية معينة، على حد قول الشاعر:

إذا ساءلت عن نسبي فإني * مسيحي أحمدي بوذي يهودي**

وقد حفلت أشعاره بالألفاظ الدالة على هذه النزعة التي تخاطب الإنسان عامة، ومهما كانت لغته أو دينه أو مكانته منها: يا أخي، يا صاحبي، المحبة، إذ يقول في قصيدته " الطين":

يا أخي لا تمل بوجهك عني * ما أنا فحمة ولا أنت فرقد**

أنت مثلي من الثرى وإليه * فماذا يا صاحبي التيه والصد ! [1]**

كما نجد في أشعاره نبرة حزن، وإحساس بمأساة الإنسان، ويحاول مسح دموع الباكين، ومحو ألم المتألمين، فراح يتعاطف مع الضعفاء والفقراء، صابا جام غضبه على الأغنياء، لأنهم لا يعطفون على الفقير، فيقول مصورا حاله (الفقير):

هم ألم مع الظلمـــاء * فنأى بمقتله عن الإغفـــاء**

قد عضه اليأس الشديد بنابه * في نفسه والجوع في الأحشاء[2]**

وإيليا في هذه الأبيات يصور حال هذا الفقير الذي أرقه ألمه، وهمه على حاله فلم يجد كفا أبيضا، يساعده فيعطيه مايطفئ به نار جوعه، ولكن الأمر من ذلك، هو ألم النفس التي عضها اليأس

---

[1] الجداول: إيليا أبو ماضي، درا العلم للملايين، ط15، 1982، ص39.
[2] الجداول: ص 211.

الشديد، هذا الوحش الذي لا يرحم النفس، إذا استولى عليها، ويبلغ حزن الشاعر على هذا حال الفقير لدرجة أنه يطلب الرحمة، قائلا:

وارحمتا البائسين فإنهم * موتى وتحسبهم من الأحياء**

إني وجدت حظوظهم مسودة * فكأنما قدت من الظلماء[1]**

ويخاطب الأغنياء والمترفين قائلا:

فمن القساوة أن تكون منعما * ويكون رهن مصائب وبلاء**

وتظل ترفل بالحرير أمامه * في حين قد أمسى بغير كساء**

أنصر أخاك فإن فعلت كفيته * ذل السؤال ومنة البخلاء[2]**

كما أن إيليا دعا إلى الأخوة الإنسانية، فالإنسان في حاجة إلى أخيه الإنسان وأن أساس الحياة هو: التعاون، فيقول:

يا رفيقي أنا لولاك * ما وقعت لحنا**

كنت في سري لما * كنت وحدي أتغنى**

هذه أصداء روحي * فلتكن روحك أذنا**

ربما كنت غنيا * غير أني بك أغنى[3]**

كما دعا للتواضع وعدم تعالي الإنسان على أخيه الإنسان قائلا:

---

[1] الجداول: ص212.
[2] الجداول: ص 215.
[3] الجداول: ص7.

ألا أيها الإبريق ما لك والصلف * فما انت بلور ولا أنت من صدف**

وما أنت إلا كالإبريق كلها * تراب مهين قد ترقى إلى خزف**

أرى لك أنفا شامخا غير أنه * تلفع أتراب الغبار وما أنف[1]**

ثم يدعو إلى المزيد من العناق الإنساني، وإلى سمو النفس فوق آلام الحياة وأشواكها، فالمحبة منارة الإنسان، ولا تنتظر من أحد جزاءا ولا شكورا، فيقول:

كن بلسما إن صار دهرك أرقها * وحلاوة إن صار غيرك علقها**

من ذا يكافئ زهرة فواحة * أو من يثيب البلبل المترنما**

أيقظ شعورك بالمحبة إن غفا * لولا الشعور الناس كانوا كالدمى**

أحبب فيغدو الكوخ كوخا نيرا * وأبغض فيسمى الكون سجنا مظلما[2]**

ويؤكد على امتزاج مشاعر المحبة والأخوة، فالإنسان لن يوجد إلا في الوجود الإنساني، فيقول في قصيدة " من أنا ":

أنا، من أنا يا ترى في الوجود * وما هو شأني وما موضعي؟**

أنا قطرة لمعت في الضحى * قليلا على ضفة المشرع**

أنا انتم إن ضحكتم لأمر * ضحكت وأدمعكم أدمعي**

ومطرب أرواحكم مطربي * وموجع أكبادكم موجعي [3]**

---

[1] الخمائل: إيليا أبي ماضي، دار العلم للملايين، ط15، 1982، ص27.
[2] الخمائل: ص 87.
[3] الخمائل: ص176

وتتجلى الدعوة إلى الإنسانية في قصيدته: " في القفز "، فيقول:

سئمت نفسي الحياة مع الناس * وملت حتى من الأحباب**

قالت أخرج من المدينة للقفز * ففيه النجاة من أوصابي**

خلت أني في القفز أصبحت وحدي * فإذا الناس كلهم في ثيابي**[3]

كانت هذه دعوة إيليا إلى أخوه إنسانية، ترى الناس سواسية، وكل إنسان في حاجة إلى أخيه الإنسان، لا فرق بين غني وفقير أو عظيم أو حقير، لا ديانة تقيدنا ولا فلسفة، ولا رأي، فالحلقة الواصلة بين الجميع هي المحبة والأخوة.

4- النزعة الرمزية:

تكاد هذه النزعة تطغى على شعر إيليا أبو ماضي، وتتجلى واضحة من خلال ديوانه " الجداول "و "الخمائل"، التي تضمنت قصائد حافلة بالشعر الرمزي، حيث يعالج فيها موضوعا ما بطريقة إيحائية غير مباشرة، إذ لا يمكن الوصول إلى المغزى منها إلا بعد تمعن وتدقيق، وقد ورد الرمز في شعره بصور متعددة، ومنها نذكر قصيدة " الفراشة المحتضرة" التي يقول فيها:

حلمت أن زمان الصيف منصرم * ويلاه حققت الأيام رؤيـــاك**

فقد نعاه إليك الفجر مرتعشا * وليس منعاه إلا بعض منعـاك**

فالزهر في الحقل أشلاء مبعثرة * والطير؟ لا طائر إلا جناحـاك**

مضى مع الصيف عهد كنت لاهية * على بساط من الأحلام ضحاك**

فراشة الحقل، في روحي كآبـة * مما عراه ومما قد تـولاك**

---

[3] الخمائل: ص48.

أحببته وهو دار تلعبين بهـا * وسوف تهواه نفس وهو مثواك**

قد بات قلبي في دنيا مشوشة * منذ آلتفت إلى آثار دنيـاك**

لا يستقر بها إلى على وجـل * كالطير في أحابيل وأشـراك[1]**

فهو يصور فراشة ضاع الربيع والصيف منها، فأصبحت حزينة وحيدة ضائعة، لا فرح في أيامها، ولا سعادة، وكأن حال هذه الفراشة هو: رمز الكآبة وضياع الشباب، ومرور أيامه دون رجعة.

ويرمز في قصيدة " الطين" الذي ينسى أصله ويتكبر ويتجبر وهو مجرد طين حقير، يقول داعيا إلى التواضع وتركه الاستعلاء:

نسي الطين ساعة أنــه * طين حقير فصال تيها وعربد**

وكسا الخز جسمه فتتباهى * وحوى المال كسيه فتمـرد**

يا أخي لا تمل بوجهك عني * ما أنا فحمة ولا أنت فرقـد**

أنـت مثلي من الثرى وإليه * فلماذا يا صاحبي التيه والصدأ[1]**

وفي قصيدة " الحجر الصغير" يرمز إلى قيمة و دور الإنسان في مجتمعه مهما كان صغيرا بحجر صغير في سد لا أحد يعيره اهتماما، فأحتقر نفسه وقرر الإنفصال عن ذلك الجدار، فيكون سببا في إنهياره، وغرق المدينة بعد أن كانت تنعم بالطمأنينة والسلام، فيقول:

سمع الليل ذو النجوم أنينـا * وهو يغشى المدينة البيضاء**

لست ذرا تنافس الغادة الحسناء * فيـه المليحة الحسنـاء**

حجر أغير أنـا وحقــير * لا جمالا لا حكمة لا مضاء**

---

[1] الخمائل: ص50.
[1] الجداول: ص 39.

فلأغادر هذا الوجود وأمضى * سلام، إني كرهت البقــاء**

وهوى من مكانه وهو يشكو * الأرض والشهب والدجى والسماء**

فتح الفجر جفنه... فإذا الطوفان يغشى " المدينة البيضاء" [1]

وفي قصيدة " التينة الحمقاء" يرمز للبخيل أو الشخص القادر على العطاء، فيمنع خيره عن الآخرين، فلا يستفيذ أحد منه، فيصبح موته وحياته سواء، فيمثله بالتينة، التي رفضت أن تزهر وتثمر لكي لا يستفيد أحد من ثمارها، بل وصلت بها إلى درجة استكثار الظل على غيرها، فلم تورق فأجتثها صاحب البستان، فيقول على لسانها:

كم ذا أكلف نفسي فوق طاقتها * وليس لي بل لغيري الفيئ والثمر**

ولست مثمرة إلى على ثقــة * أن ليس يطرقني طير ولا بشـر**

عاد الربيع إلى الدنيا بموكبـه * فأزينت واكتسبت بالسندس الشجر**

وظلت التينة الحمقاء عاريــة * كأنها وتد في الأرض أو حجر**

ولم يطق صاحب البستان رؤيتها * فأجتثها، فهوت في النار تستعر** [2]

كما نجد قصيدته " الغدير الطموح" والتي يرمز فيها للطامع في أشياء أكبر منه، فيقوده هذا الطموح الزائد إلى حتفه:

قال الغدير لنفســه * ياليتني نهر كبيـر**

مثل الفرات العذب أو * كالنيل ذي الفيض الغزير**

تجري السفائن موقرات * فيه بالرزق الوفيـر**

---

[1] الجداول: ص 37.
[2] الجداول: ص 46.

هيهات يرضى بالحقير * من المنى إلا الحقير**

وأنساب نحو النهر لا * يلوي على المرج النضير**

حتى إذا ما جاءه * غلب الهدير على الخرير[1]**

ومن أمثلة الرمز في شعره، قصيدة"الضفادع والنجوم" فهي رمز للإنسان الواهم الثرثار الذي يطغى عليه الوهم والغرور والكبرياء فيتوهم أنه: قادر على فعل كل شيء، وهو لا يستطيع شيئا، إنما كل ما يستطيعه هو التوهم والتكبر لا غير:

صاحت الضفدع لما شاهدت * حولها في الماء أظلال النجوم**

يا رفاقي ! يا جنودي ! احتشدوا * عبر الأعداء في الليل التخوم**

فاطردوهم وأطردوا الليل معا * إنه مثلهم باغ أثيم**

مزق الفجر جلابيب الدجى * ومحا من صفحة الأرض الرسوم**

فمشت في سربها مختالة * كمليك ظافر بين قروم**

ثم قالت: لكم البشرى و لي * قد نجونا الآن من كيد عظيم**

نحن لو لم نقهر الشهب التي * هاجمتنا لأذقتنا الحتوم**

وأقامت بعدنا من أرضنا * في نعيم لم تجده في الغيوم !**

أيها التاريخ سجل أننا * أمة قد غلبت حتى النجوم ![2]**

---

[1] الجداول: ص138.
[2] الجداول: ص21.

5- النـزعة التأملية:

انطوت نفس إيليا أبي ماضي على صخب داخلي عميق الفور، وكانت سريرته تعج بالتساؤلات والشكوك والهواجس المقلقة: والخواطر المثيرة، كأنها مستودع متفجرات متصلة، ومثار ضوضاء صامتة، لا يستطيع معها أن يطمئن أو يستقر على حال من الأحوال وخواطر أبي ماضي ونظراته التأملية متناثرة هنا وهناك في ثنايا قصائده، لكن هذه النزعة التأملية تبدو في أوج نضجها وروعتها في مطولتيه "الحكاية الأزلية" و" الطلاسم"، ففيهما يتجلى خيال خصب ومقدرة فائقة على إرسال فكرة الذي يجول في سماء التخيلات والتأملات فيحاول أن يستشف مجاهله وألغازه لنا، ومن قصائده التي حوت تأملاته في النفس البشرية وتناقضاتها:

- الأسطورة الأزلية:

هي قصيدة طويلة تضم 142 بيتا، يتمثل فيها أبناء الحياة على إختلاف طبقاتهم و أهوائهم، والحكاية فعلا أزلية، لأن الإنسان منذ أن وجد على الأرض لم يرض قط بنصيبه في الحياة، فهو دائم النقمة على هذا النصيب، يسعى دوما إلى تغييره ويطمح إلى تبديله، نشرت هذه القصيدة لأول مرة في مجلة " السمير" التي كان يصدرها أبو ماضي، وقدم لها الشاعر بنفسه قائلا: " ولا نظن أن هذه الأرض مشى عليها الإنسان لم يتمن في صباح أو مساء لو جاء إلى هذه الدنيا قبل العصر الذي جاء فيه أو بعده، أو لو جاء، حين جاء، في صورة غير صورته، أو لو كان في قدرته أن يزيد على كيانه ما ليس فيه ..."[1].

[1] إيليا أبو ماضي: حياته وشعره، بحث مقدم لنيل شهادة اليسانس، السنة الجامعية: 1982-1983، ص21.

يبدأ الشاعر مطولته بقوله:

كان زمان لم يزل كائنا * وحالة ما برحت باقية.**

و قوله هذا يعني أن الحكاية قديمة وأزلية، ولكنها لا تزال تتكرر دائما وتتكرر معها الأماني البشرية الباقية ببقاء الحياة والوجود.

و ملخص هذه الحكاية أن الناس مرة قد ملوا حالهم و ودوا لو أن الله أعاد تكوينهم من جديد كما يريدون، و في ليلة مقمرة هبط إليهم ذو الجلال ليستمع إلى شكاياهم، فتقد كل منهم بشكواه.

هل بنو الإنسان أطوارهم * وبرموا بالسقم والعافية**

فاستصرخوا خالقهم واشتهروا * لو أنه كونهم ثانية**

فقال: إني فاعل ما اشتهروا * لعل فيه حكمة خافية**[1]

فيتقدم الشباب في مقتبل العمر ناقما على حظه في الحياة، لأن الله قد جعله شابا يعيش بين الشيوخ، ولا يرون فيه إلا الطيش والرعونة والحمق، لذا فهو يأمل أن يصبح شيخا، وذلك هو مهربه الوحيد من شقاء الشباب وزلاته وآثامه:

قال الفتى: يا رب إن الصبا * مصدر أحزاني وآلامي**

ألبستنيه مونقا بعد ما * أبلاه أخوالي واعمامي**

عبء على نفسي هذا الصبا * الجائش المستوفز الطامي**

خذه، وخذ قلبي وأحلامه * فإنني أشقى بأحلامي**

وأزرع نجوم الشيب في لمتي * فينجلي حندس أوهامي** [1]

ثم يقف شيخ شاكيا إلى ربه قسوة ما يعاني، ويرجو من الله أن يأخذ منه كل حكمته، ويرجع إليه شبابه، وأن يجعل أمانيه أمامه لا وراءه:

---

[1] الخمائل: ص22.

[1] الخمائل: ص 224-225.

فصاح يا رباه خد حكمتي * وأردد على عبدك عصر الشباب**

مرتقف الأيام عن سيرهـا * فإنها تركض مثل السـحاب**

وضع أمامي، لا ورائي المنى * وطول الدرب وزد في الصعاب**

م لذتي بالماء أروى بـه * بل لذتي في العدو خلف السراب[1]**

ثم تقف فتاة حسناء تشكر لربها ما جلبه لها جمالها من متاعب وتهم:

وجهي سني مشرق إنما * مرعى عيون الخلق وجهي السني**

كم ريبة دبت إلى مضجعي * يا رب لم يخدش ولم يطعـن**

كأنما لا ادب ممكـن * مع الجمال الرائع الممكـن[2]**

ثم تقف جارية ذميمة، فتدم قبحها، لأن العالم الذي تعيش فيه مملوء بالأحكام الجائرة، و ما ذنبها المسكينة، فهي لم تختر أن تكون قبيحة:

ربي إلى هذا الورى خلقتنـي * فهل أنا المجرمة الجانية**

إن أخطأ الخزاف في جبله الطين، * فأي الذنـب الآنيـة[3]**

ثم يأتي الصعلوك فيبكي حظه في الحياة، وتمتلئ نفسه غيظا وحزنا، عندما يرى الآخرين ينعمون بالسعادة:

لو لم يكن غيري في غطـبة * ما شعرت روحي بالبؤس[1]**

---

(1) الخمائل: ص226-228.
(2) الخمائل: ص 228-229.
(3) الخمائل: ص 230.
(1) الخمائل: ص 231.

ليأتي بعد الغنى يشكو تحكم المال فيه، فهو عبده قبل جمعه وبعده:

فاستعبدتني في زمان الصبا * و أوقرت بالهم شيخوختي**[1]

ثم يأتي الأبله فيعاقب ربه على هذه البلوى، ويبكي حظه المشؤوم:

إن كنت إنسان فلم يا ترى؟ * لست بإدراكي كباقي العباد** [2]

وينصرف الأبله ليترك المكان العبقري، الذي يصيح ناقما على قسمته، فهو دائم الإنشغال بحوادث هذا الكون وظواهره وأسرار الوجود بغرائبه، والبحث في كل صغيرة و كبيرة، فمعرفته لأسرار هذا الكون سبب شقائه وتعاسته:

لو أنني كنت بلا فطنـة *** سيرت ولم تكثر أمامي الدروب**

ما العقل يا رب سوى محنة *** لولاه لم تكتب علي الذنـوب**[3]

وهكذا تتوالى الشكاوي أمام الخالق، ويقف الجميع في انتظار حكم الواحد القهار:

لما وعى الله شكاوي الورى *** قال لهم: كونوا كما تشتهون !**

وصار كل واحد كما يشتهي، ولكن ما إن لا الصباح نوره حتى بدأت الحياة في سيرها، دون أن يتغير فيها شيء، ففيها الغني والفقير، وفيها العبقري والغبي وفيها.....وفيها.....:

لكنهم لما اضمحل الدجى *** لم يجدوا غير الذي كـــان**

وبقي كل واحد متذمرا من حاله، لأن الناس لا يقنعون، وطموحهم لا حدود له:

هم حددوا القبح فكان الجمال *** وعرفوا الخير فكان الطـلاح**

---

(1) الخمائل: ص 232.
(2) الخمائل: ص 234.
(3) الخمائل: ص 236.

- **الطلاسم**[1]:

تبدو النزعة التأملية في هذه القصيدة في أعمق صورها، وغذا تأملناها نجدها عبارة عن مجموعة من الأفكار والتأملات تتطلع إلى كشف حقيقة الكون، وأسرار الوجود، ولكن هيهات أن يعرف سر الوجود، فكل سؤال يطرحه يجد فيه لغزا لا حل له، وهذه التساؤلات تدل على ان الشاعر ذو عقل كبير، ولا يقنع بالسطحيات، ويستعمل فكرة وعقله، كأداة للتنقيب عن خفايا الدنيا و التغلغل إلى الأعماق.

يبلغ عدد أبيات هذه المطولة 71 مقطعا، يتكون كل مقطع من أربع أبيات تنتهي دائما بعبارة " لست أدري".

يستهل الشاعر هذه المطولة بأسئلة حائرة حول المصدر الأول للوجود:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت

ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت

وسأبقى سائرا إن شئت هذا ام أبيت

كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟

لست أدري

و هو في دوامة من الحيرة والقلق، لا يدري من أين جاء ولا كيف؟ وهل قديم أم جديد في هذا الوجود؟ هل هو حر أم مقيد؟ هل سبيله قصير أم طويل؟ و قبل أن يحل بهذا العالم، هل كان شيئا أم لم يكن؟ هي أسئلة حيرته. وأدخلته في ظلام الجهل، ليتساءل من جديد هل من حل لهذه الألغاز؟ فيعجز ويجيب " لست أدري":

---

[1] حما الفاخوري: الموجز في الأدب العربي وتاريخه، دار لجيل، بيروت، د.ت، ص 657.

ألهذا اللغز حل أم سيبقى أبديا؟

لست أدري ! ولماذا لست أدري !

لست أدري

ويتوجه بأسئلته إلى المقبرة الذي يثير منظرها الهادئ الموحش مجموعة من الأسئلة والتساؤلات بعدما ازداد حيرة، فيخاطب نفسه قائلا:

أنظري كيف تساوي الكل في هذا المكان

وتلاشى في باقيا العبد رب الصولجان

والتقى العاشق والقالي فما يفترقان

آ فهذا منتهى العدل؟ فقالت:

لست أدري

و الشاعر يرى أن كل ما في دنياه طلاسم وألغاز، يقف العقل حيالها موقف العاجز، وحينما تختلط عليه أمور الدنيا والناس يعود بأسئلته إلى نفسه، فيبحث عن حقيقتها و كنهها، فلا يزيد ذلك إلا حيرة وتساؤلا فيقول:

أنا لا أذكر شيئا من حياتي الماضية

أنا لا أعرف شيئا من حياتي الآتية

لي ذات غير أني لست أدري ماهية

فمتى تعرف ذاتي كنه ذاتي؟

لست أدري.

ويختم الشاعر مطولته هذه بعبارات تنم عن نفس مستسلمة حائرة:

إنني جئت وأمضى، وأنا لا أعلم

انأ لغز، وذهابي كمجيئي طلسم

و الذي أوجد هذا اللغز لغز مبهم

لا تجادل...ذو الحجى من قال أين

لست أدري.

6- النزعة الفلسفية:

يرى أبو ماضي أن الحياة سانحة من سوانح الوجود، يجدر الإنسان أن يغتنمها منفتحا على جمالها ومستمتعا بما تقدمه له من نعمة وما توفره له من متعة:

إن الحياة قصيدة أعمارنا *** أبياتها والموت فيها القافية

متع لحاظك في النجوم وحسنها *** فلسوف تمضي والكواكب باقية

في هذه الفلسفة البسيطة التي تبدو مشرقة نلمس في أعماقها مأساة الوجود الذي مآله في النهاية هو الموت، تحت غطاء كثيف من الورد والابتسامة والتفاؤل، وهكذا فهو يحاول أن يخرج الإنسان من هاوية حقيقته الزوالية إلى إلى أجواء النور التفاؤلية، التي تجعله يعيش غارقا في جمالية الموجود[1].

وقد نظر أبو ماضي إلى الحياة فوجد أن السعادة بيد الإنسان، ومصيره يتوقف إلى حد كبير على نظرته إلى الحياة، وكان من أهم مبادئه في الحياة هو: الأخوة الإنسانية، لأن بحاجة دائمة لأخيه الإنسان ويعلمنا أبو ماضي نبذ الأنانية ومشاركة الآخرين العطاء حتى لا يستغني عنا، و يجرفنا تيار الأنانية:

---

[1] حنا الفاخوري: الموجز في الأدب العربي وتاريخه، ص 656.

من ليس يسخو بما الحياة به *** فأنه أحمق بالحرص ينتحر

وهذه الآراء صادرة عن نفس مجربة ترى في الإنسان شرا متأصلا ذاقته وعاينته:

وأنك لو خبرت النـــاس *** خبري زهدت الخلق زهد أبي تراب

همو إما عني ليس يـدري *** وذو علم ولـوع بالتغابــي

لهم صور الملوك والأنـاسي *** وأخلاق الأباليس والذئــاب.

أما الحياة الاجتماعية في نظره هي حياة الواقع الإنساني التي يجب الإنسان أن يلبسها كما هي، فيقتنع بما تقدمه له، ولا يطلب من الناس أكثر مما يستعطون أن يعطوه، على أن الشاعر يريد أن يقول للناس أنهم جميعا من طينة واحدة، وأن الظلم والجشع والبخل، والتكبر تجاوز للحدود الإنسانية خروج عن النظام الكوني وإساءة إلى الطبيعة التي وزعت الطاقات، ومناهل السعادة على جميع الناس وأن السعادة الحقيقة شبح وهمي، فلا هي في الغنى ولا هي في المتعة ولا هي في أي شيء خارجي، إنما هي في الرضى والاقتناع بما قسم لكل واحد منا، يقول:

فتشت جيب الفجر عنها والدجى *** ومددت حتى للكواكب أصبعي

ولكم دخلت إلى القصور مفتشا *** عنها وعجبت بدراسات الأربع

إن لاح طيف قلت يا عين انظري *** أو رن صوت قلت يا اذن اسمعي

عصر الأسى روحي فسالت أدمعا *** فلمحتها ولمستها في أدمعي

وعلمت حين العلم لا يجدي الفتى *** أن التي ضيعتها كانت معي

ويتحسر أبو ماضي على حال أولئك الذين يشتكون الفقر والفاقة، ناسين نعما لا تحصى وأرزاقا كثيرة حباهم بها الله وجعلها مباحة بين الجميع لا فرق بين معدم وثري في قصيدته:

كم تشتكي وتقول أنك معدم *** والأرض ملكك والسما والأنجم

ولك الحقول وزهرها وأريجها *** ونسيمها والبلبل المترنم

والماء حولك فضة رقراقة *** والشمس فوقك عسجد يتضرب

فالكآبة في رأيه إنما يخلقها المرء لنفسه لذلك عليه أن ينشر السعادة:

آ يهذا الشاكي وما بك داء *** كيف تغدوا إذا غدوت عليلا

إن شر الجناة في الأرض نفس *** تتوقى قبل الرحيل الرحيلا

وترى الشوك في الورود وتعمى *** أن ترى فوقها الندى إكليلا

والذي نفسه بغير جمال *** لا يرى في الوجود شيئا جميلا

ومن أنجع عوامل السعادة الإنسانية في هذه الحياة أن يكون الإنسان في قناعته مصدر عطاء، أي أن يشرك الناس فيما يرضاه لنفسه وأن يكون معطاءا لا ينتظر شكرا أو جزءا من أحد.

هذه هي فلسفة الشاعر في الرضا والتفاؤل، والتي حاول أن يغرس بذورها فينا من خلال أشعاره أراد أن نتخلص من كل مكدر يكدر صفو حياتنا وأن ننزع الهم والحزن من قلوبنا، ونجدد عزائمنا الخامدة لذلك كانت دعوته إلى المحبة والتفاؤل والجمال ملحة .

1- القصيدة :

ففي العربيِّ صفاتُ الأنامِ سوى أنْ يخافَ وأنْ يجبُنا
وإنْ تحجلوا بيننا بالخداعِ فلنْ تَخْدعوا رجلاً مؤمنا
وكانتْ لأجدادنا قبلَنا وتبقى لأحفادِنا بعدنا
وإنْ لكمْ بسواها غنى وليسَ لنا بسواها غنى
فلا تحسبوها لكُمْ موطناً فلمْ تكُ يوماً لكمْ موطنا
وليسَ الذي نَبْتغيهِ مُحالاً وليسَ الذي رُمتمُ ممكنا
نصحناكُم فارعووا وانبذوا (بليفورَ) ذيَّالكَ الأرعنا
وإمَّا أبيتمْ فأُوصيكمُ بأنْ تحملوا معكمُ الأكفنا
فإنَّا سنجعلُ من أرضِها لنا وطَناً لكمْ مدفنا

وديارُ السلامِ ، وأرضُ الهنا يشقُّ على الكلِّ أنْ تحزنا
فَخَطْبُ فلسطينَ خطبُ العلى وما كانَ رزءُ العُلى هيِّنا
سَهِرنْا لَهُ فكأنَّ السيوفَ تخزُّ بأكبادِنا ههنا
وكيفَ يزورُ الكرى أعيناً ترى حولَهَا للرَّدى أعينا ؟
وكيفَ تطيبُ الحياةُ لقومٍ تُسدَّ عليهمْ دروبُ المنى ؟
بلادهمُ عرضةٌ للضَّياعِ وأمَّتهمْ عرضةٌ للفنا
يُريدُ اليهودُ بأنْ يصلبوها وتأبى فلسطينُ أنْ تذعنا
وتأبى المروءةُ في أهلِها وتأبى السيوفُ ، وتأبى القَنَا
أأرضُ الخيالِ وآياتِهِ وذاتُ الجَلالِ ، وذاتُ السنا
تصيرُ لغوغائهمْ مسرحاً وتغدو لشذَّاذِهمْ مَكْمنا ؟
بنفسيَ (أُردنُّها) السلسبيلُ وَمَنْ جاوروا ذلكَ الأُردنا

لقد دافعوا أمسِ دونَ الحمى فكانتْ حروبهمُ حربنا

وجادوا لكلِّ الذي عندهمْ ونحنُ سنبذلُ ما عندنا

فقلْ لليهودِ وأشياعهم لقد خدعتكمْ بُروقُ المنى

ألا لَيتَ (بلفورَ) أعطاهمُ بلاداً لَهُ لا بلاداً لنا

(فلندنُ) أرحبُ من قُدسِنا وأنتمْ أحبُّ إلى (لندنا)

ومنَّاكمُ وطناً في النجومِ فلا عربيَّ بتلكَ الدنى

أيسلبُ قومَكم رشدَهمْ ويدعوهُ قومكمُ محسنا ؟

ويدفعُ للموتِ بالأبرياءِ ويحسبهُ معشرٌ دِّينا ؟

(ويا عَجَباً لكمُ توغرونَ على العَرَبِ (التامزَ والهدسنا

وترمونهمْ بقبيح الكلامِ وكانوا أحقَّ بضافي الثنا

وكلُّ خطيئاتهمْ أنَّهمْ يقولونَ ؛ لا تسرقوا بيتنا

فليستْ فلسطينُ أرضاً مشاعاً فَتُعطى لمنْ شاءَ أن يسكنا

فإنْ تطلبوها بسمرِ القنا نردُّكمُ بطوالِ القنا

تحليل القصيدة :

كان إيليا أبو ماضي من شعراء المهجر اللذين بذلوا اهتماما بالغا لمسألة فلسطين ولتصوير آلام الشعب الفلسطيني، معاناته و المصائب التي يتحملها، ومن أفضل قصائده القومية، قصيدة قالها في فلسطين وعنوانها " تأبى فلسطين أن تدعنا " وقدم فيها صور رائعة للمعاناة التي عاشها العرب في فلسطين، نراه يقول:

فخطب فلسطين خطب العلى وما كان رزء العلى هينـا

سهرناله فكان السـيوف تحز بأكبادنا هنـــا

وكيف يزور الكرى أعينـا ترى حولها للردى أعينـا ؟

وكيف تطيب الحياة لقـوم تسد عليهم دروب المنـى؟

بلادهم عرضة للضيـاع وأمتهم عرضة للفنـا

يريد اليهود بأن يصلبوهـا وتأبى فلسطين أن تذعنـا

وتأبى المروءة في أهلـها وتأبى السيوف، وتأبى الفـنى

يصف الشاعر في هذه القصيدة حال الشعب الفلسطيني، فخطبه وبلاؤه ليس بقليل ولا هين وأن الشعب الفلسطيني لم يذق للنوم طعما وكيف ينام وعيون الموت تحدق به من كل جانب وكيف تهنأ لهم الحياة آمالهم سدتا أمامها الطرق، بلادهم أمست عرضة للضياع وشعبهم يهدده الفناء الدماء وكيف يطيب العيش لأمة يريد اليهود أن تصبح صليبية ولكنها أمة أبية لا ترضخ بسهولة لهذه المقاصد الشيطانية، والمروءة التي تحملها بين جنبيها تأبى أن تبقى سيوفها مغمدة ورماحها مطروحة .

أأرض الخيال وآياته وذات الجلال، وذات السنا

تصيرُ لغوغائـمْ مسرحـاً وتغدو لشذَّاذِهمْ مَكْمنـا

كما يبين بأن فلسطين أرض الأنبياء والرسل وذات السنا (رأس الرماح) وإنها تصير بهمجية اليهود مسرحا وتغدوا وتصبح لشذاهم مكانا ومأوى.

كان موتل ملايين من اليهود – لوضح– في الحرب العالمية الثانية بيد هتلر ذريعة على تأسيس دولة يهودية في الأراضي الفلسطينية .

إن الشعراء والأدباء كانوا في مقدمة الذين قاموا بالنضال ضد هذه المسألة، واتخذوا من أدبهم مجالا لأن يفضحوا الدولتين الإنجليزية والأمريكية، هؤلاء الأدباء كانوا واعين بخطورة تشكيل دولة يهودية في أرض فلسطين، لذلك قاموا بالتنديد بهذا العمل واقترحوا أمكنة أخرى لتشكيل هذه الدولة المشؤومة.

واقترح ايليا أبو ماضي في قصيدته هذه تأسيس دولة يهودية في لندن، وكان يعتقد أن لندن أوسع لهم من القدس وأحب إليهم من القدس ، فقال:

فقل لليهود وأشياعهم لقد خدعتكم بروق المنى

الأليت (بلفور) أعطاكم بلادا له لا بلادا لنا

ولندن أرحب من قدسنا وأنتم أحب إلى لندنا

أضف إلى ذلك أن شاعرنا قد أعطى فلسطين والعرب جزءا من حياته وأدبه، فشبه حال الأمة العربية بالكبد التي تقطعت وانتثرت وهي صامتة لم تنبس بكلمة لما حل بفلدتها المقدسة ولكن يرى أن هذا السكوت ليس إلا هوادة، والشعب العربي الإسلامي يستيقط من سباته رادا العدو من أراضيه، كذلك يأمل الشاعر أن تلتحم هذه القطع وتنزل على العدو وصواعق تعمره بالنار والموت فيقول:

أيسلب قومكم رشدهم ويدعوه قومكم محسنا

ويدفع للموت بالأبرياء ويحسب معشر دينا؟

ويا عجبا لكم توغرون على العربي (التامز والهندسا)

وترمونهم بقبيح الكلام وكانوا أ حق بضافي الثنا.

وبعدها ينفي الشاعر ويقول بأن أرض فلسطين ليست مشاعة وتوهب لأي كان أن يقطن بها، فهي صعبة المنال والمطلب، والرد سيكون أشد وأعنف من المطلب، كما يبرز في هذا الرد مدى قوة الشعب الفلسطيني، فالإنسان فيه كل صفات البشر إلا صفتان هما الخوف والجبن، فالصهاينة دخلوا بينهم بالمكر والخديعة إلا أنه يؤكد أن الرجل المؤمن لن يخدع فيقول:

فليست فلسكين أرضا مشاعا فتعطى لمن تشاء أن يسكنا

وإن تطـلبوها بسمر القنـا نردكم بطــوال القنا

وفي العربي صفات الأنــام سوى أن يخاف وأن يحبنـا

وإن تحجلوا بيننا بالـخداع فلن تخدعوا رجلا مؤمـنا

- يدّعي الصهاينة أن أجدادهم كانوا يسكنون أرض فلسكين، إذن هي ميراثهم ويحق لهم المطالبة بها، فتصدى الأدباء لهذا الإدعاء الزائف وقاموا بتسفيه في قصائدهم ووصفوا عمله بالاحتلال والاغتصاب من الأدباء الذين ردوا على هذا الزعم الباطل إيليا أبو ماضي الذي دحض فكرة حق الغزاة في أرض فلسطين وأجابهم بأن هذه الأرض كانت شكنا لأجدادنا وسوف تبقى لأحفادنا بعدنا وأنتم تستطيعون أن تستغنوا عنها بسوارها ولكننا لا غنى عنها ولا تحسبوا أنكم تستطيعون أن تتخذوها موطنا لكم لان لم تكن يوما موطنا لكم، إذ يقول:

وكانت لأجدادنا قبلـنا وتبقى لأحفادنا بعدنــا

وإن لكم بسواها غنــى وليس لنا بسواها غنــى

فلا تحسبوها لكم موطنا ولم تك يوما لكم موطنــا

نصحناكم فارعووا وانبذوا بليفور ذيالك الأرعنــا

وإما أبـيتم فأاوصيكم بأن تحملوا معكم الأكفنــا

وأنا سنجعل من أرضنــا لنا وطنا ولكم مدفنــا

نرى في هذه المقطوعة أن ايليا أبا ماضي يؤكد ما للعرب من حق في هذه الأرض بقوله، " وكانت لأجدادنا قبلنا....." ويهدد اليهود إن أرادوا أن يسكنوا هذه الأرض بقوة السلاح، فإن العرب سوف يواجهونهم بمثل تلك القوة وهو ينصحهم أن لا يظنوا أنها كانت يوما ما موطنا لهم بل هي أرض عربية، وسوف تبقى للعرب أيضا وليس هذا مطلبا عسيرا علينا وما ترمونه أقرب إلا المجال، تم يصعد الشاعر من لهجته ويهددهم، إن لم يأخذوا بنصائحه فعليهم أن يحملوا أكفانهم معهم ويهيئوا أنفسهم للموت.

خاتمة:

نصل إلى ختام بحثنا لنقول في الأخير:

إن مدرسة شعراء المهجر كانت أجمل وأحسن ظاهرة حديث في تاريخ الأدب، إذ تعتبر من خيرة المدارس التي جاذبها هذا الخير، وقد مثل هذه المدارس مجموعة من الشعراء والأدباء الذين أجبروا على ترك أوطانهم هروبا من قساوة الحياة والقمع والاضطهاد السياسي والفقر والشقاء وطلبا لحرية التعبير فضلا عن أن الإنسان الشرقي عموما والسوري واللبناني خصوصا كل مولعا بالهجرة، وكل هذه الأسباب تصب في وعاء واحد وهو الرغبة في تحقيق حياة كريمة وقد استطاعوا رغم الصعوبات التي واجهها أن يتأقلموا في ذلك العالم الجديد ،فأسسوا مدرستين: الأولى في الشمال وهي الرابطة القلمية سنة 1920 وأهم روادها: جبران خليل جبران، ميخائيل نعيمة، إيليا أبو ماضي، والثاني في الجنوب هي العصبة الأندلسية سنة 1933 وأهم روادها: ميشال معلوف، شفيق معلوف، الشعر القروي، الياس فرحات.

وقد اعتبرت الشعر العربي القديم نموذجا يجب احتذاؤه لذلك لم يكن للتجديد في هذه المدرسة نصيب، على عكس الرابطة التي دعت إلى التجديد في الموضوعات والصياغة، والثورة على كل ما هو تقليدي، فاعتبرت أن الشعر تعبير عن ذات الشاعر الذي يملك قوة التأمل والتعبير ووظيفته هي الابتكار وليس التقليد.

كما تحرروا من وحدة الوزن والقافية باعتبار أنهما قيد يعيق انسياب مشاعر الشاعر كما نظموا على نمط الموشحات.

وقد اتسم بمجموعة من الخصائص ميزته عن سائر الشعراء منها:

- نزعة الحنين إلى الوطن مما دفعه للهروب إلى الطبيعة معتمدا في ذلك على الرمز والإيحاء، مما زاده عمقا وقيمة وجمال.

- نزعته الفلسفية القائمة على التأمل.
- كما اتسم أسلوبه بالسهولة والبساطة والعمق في الوقت ذاته لأنه يهتم بالفكرة أكثر من اهتمامه باللفظ، ساعده في ذلك خياله وفكره، فوظف صورا بيانية من استعارات وكنايات وتشبيهات أكسبت شعره حلاوة وجمالا.

وصفوة القول في هذا البحث أن الشعراء والأدباء المهجريين كانوا ملتزمين بكثير من القضايا الوطنية والإنسانية رغم أنهم كانوا يعيشون خارج الوطن العربي، لكنهم كانوا يتابعون قضايا وطنهم وشعبهم، وهذا يعكس مدى وعيهم ووطنيتهم.

هذا وكانت القضية الفلسطينية ذات طابع إنساني عام، لأن الشعراء المهاجرين كانوا مسيحيين وكان مسقط رأسهم سائر الأخطار العربية فهذا لم يمنعهم من التطرق إلى مسالة تتعلق بجزء من الوطن العربي.

فكان كثير من الأدباء والشعراء المهاجرين على وعي لفكرة تشكيل دولة يهودية في فلسطين في وقت مبكر، فكثيرا ما نراهم كانوا يحذرون الحكام والشعب العربي والفلسطيني من ذلك وهذا ما يثبت دور الأدب الاجتماعي في توعية الشعب.

إن الأدب المهجري رغم أنه نشأ خارج الأقطار العربية، إلا أنه كان يساير الأحداث التي تحدث فيها، كانوا يناقشون الأعداء مناقشة منطقية، يثبت هذا أنهم كانوا في الصف المقدم في مواجهة أعداء الإنسانية فكان إيليا أحد أهم روافده الذي استطاع رغم الظروف القاسية التي مر بها أن يكتب اسمه ضمن قائمة المتفوقين لما تميز به شعره من وحدانية ورقة وحنان وقد ساهم بذلك في المحافظة على اللغة العربية ونشرها في بلاد المهجر، وأيقظ الأدب العربي من سباته وجموده ودفعه إلى التطور، فتفوق وابهر العالم بإنتاجه الأدبي.

قائمة المصادر و المراجع :

1- أحمد أبو حاقة : الالتزام ، دار العلم للملايين ، ط 1 ، 1979 م .

2- إلياس فرحات : الخريف ، سان بالو ، البرازيل ، 1954 .

3- إلياس فرحات ، مطلع الشتاء ، مكتبة القاهرة 1967 م .

4-محي الدين البرادعي ، المهاجرة و المهاجرين ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق 2006.

5- الشاعر القروي ، الأعمال الكاملة للنثر ، منشورات جروس برس ، لبنان ، ط 1 ، 1996 م .

6- الشاعر القروي ، الأعمال الكاملة للشعر ، مكتب التحقيق اللغوي طرابلس ، ت ط .

7- الوليد أبو الفضل : الديوان (إلياس عبد الله طعمة ، ..... المجهول) راجعه و قدمه ، جورج مصروع ، دار الثقافة ، بيروت 1972 .

8- أمين الرّيحاني : القوميات ، دار الرّيحاني ، ج 2 ، 1956 م .

9- إيليا أبو ماضي : ديوان شير وتراب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط2 ، 1961 .

10- إيليا أبو ماضي : دار العودة ، د . ت .

11- إيليا أبو ماضي : ديوان الجداول ، دار العلم للملايين ، ، ط 15 ، 1982 .

12- إيليا أبو ماضي : ديوان الخمائل ، دار العلم للملايين ، ط 4 ، 1961 .

13- إيليا أبو ماضي : ديوان الخمائل ، دار العلم للملايين ، ط 15 ، 1961 .

14- جبران خليل جبران : المجموعة الكاملة م 3 ، دار الصادر ، بيروت ، ط 2 ، 1981.

15- جميل جبر : أمين الريحاني سيرته و أدبه ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، 1964 .

16- حنا الفاخوري : الموجز في الأدب العربي و تاريخه ، دار الجيل ، بيروت ، د . ت .

17- حيدر توفيق بيضون : الشاعر القروي ، رشيد سليم الخوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1933 .

18- سيمون عواد : مؤسسة بدران و شركاء للطباعة و النشر ، لبنان ، 1973 .
19- شوقي ضيف : دراسات في الشعر العربي المعاصر ، دار المعارف مصر ، 1974 .
20- شوقي ضيف : دراسات في الشعر العربي المعاصر ، دار المعارف مصر ، 1974 .
21- شوقي ضيف : دراسات في الشعر العربي المعاصر ، دار المعارف مصر ، 1974ط 11 ، د ت .
22- صابر عبد الدايم : أدب المهجر ، دار المعارف ، ط 1 ، 1993 .
23- طالب زكي طالب : إيليا أبو ماضي بين التقليد و التجدين ، منشورات ، المكتبة العصرية ، مبدأ ، بيروت ، د ، ت .
24- عبد اللطيف شرارة : الشاعر القروي ، دار صادر ، بيروت ، 1936 م .
25- عبد الله الخوري بشرارة : شعر الأخطل الصغير ، دار الكتاب العربي ، ط 4 ، 1993 م .
26- عبد المنعم خفاجي : قصة الأدب المهجري ، ط 1 ، د ت .
27- عيسى الناعوري : أدب مهاجر ، دار المعارف ، مصر ، د ت .
28- محاضرات في نظرية الأدب : د/ شكري عزيز الماضي ، دار البعث للطباعة و النشر ، ط 1 ن 1984 .
29- محي الدين البرادعي ، المهاجرة و المهاجرين ، المجلد الأول ن منشورات وزارة الثقافة ن دمشق 2006 .
30- ميخائيل امطانيوس ، دراسات في الشعر العربي الحديث ، منشورات المكتبة المصرية ، بيروت ، ط 1 ، 1968 م .
31- ميخائيل نعيمة ، جبران خليل جبران ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، ط 9 ، 1981 .
32- محاضرات في نظرية الأدب : د/ شكري عزيز الماضي ، دار البعث للطباعة و النشر ، ط 1 ، 1984 .
33- نادرة جميل سراج ، شعراء الرّابطة القلمية ، دار المعارف بمصر 1964 .

34- وديع ديب : الشعر العربي في المهجر الأمريكي ، بيروت ، 1954 .

مذكرات التخرج :

1-إيليا أبو ماضي : حياته و شعره ، بحث مقدم لنيل شهادة الليسانس ، السنة الجامعية : 1982 – 1983 .

الفهرس

المقدمة

الفصل الأول : مدرسة المهجر

I- تعريف مدرسة المهجر 3

1- الرّابطة القلمية..... 4

2- العصبة الأندلسية : مبادؤها..... 8

II- التجديد في الشعر الهجري...... 12

1-المستوى الأول: ماهية الشعر..... 13

2-المستوى الثاني: الشاعر ووظيفته..... 14

3-المستوى الثالث: التحرر من قيود التراث الشعري..... 17

4-المستوى الرابع: التحرر من الاوزان والقوافي..... 18

الفصل الثاني: فلسطين عند المهجرين

أ- لمحة تاريخية عن فلسطين..... 25

ب- فلسطين في أدب المهجريين..... 30

ج- أهم ملامح قضية فلسطين في أدب المهجريين..... 31

1-التنبيه في وقت مبكر إلى الخطر الصهيوني..... 31

2-تصوير آلام الشعب الفلسطيني ومآسيه..... 33

3-كشف زيف الصهيونية وإدانة عدوانيتها..... 37

4-التنديد بتقصير العرب وحكامهم في الدفاع عن الحق..... 39

5-تهديد المحتلين والدعوة إلى النضال 42

6-التنديد بالإنجليز من اجل مساعدتها للصهاينة على إقامة كيان لهم في فلسطين... 46

7-ضرورة الوحدة العربية الإسلامية..... 48

8-إقتراح تشكيل دولة يهودية في بلاد أخرى..... 50

الفصل الثالث" فلسطين في شعر إيليا أبو ماضي

مقدمــة

I- حياتــه..... 53
II- خصائص الشعر عند ايليا أبو ماضي..... 58
1- الحنين..... 58
2-حبه للطبيعة..... 61
3-النزعة الإنسانية..... 64
4-النزعة الرمزية..... 67
5-النزعة التأملية..... 71
6-النزعة الفلسفية..... 77

III- التطبيق

1- القصيدة 81
2-تحليل القصيدة..... 83

3- خاتمة

4- قائمة المصادر و المراجع

5- الفهرس